

كشفت الأَسْرَارِ

فِي

حِكْمِ الطَّبِيبِ وَوَلَاةِ أَهْلِهِ

لِلْعَلَّامَةِ عَزَّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَسَائِمِ الْمُتَّقِدِ سِيسِي
(٦٧٨ هـ)

مَقَّه دَسَنِ عَلَيْهِ

عَلَّامَةُ عَزَّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ

دار الفضيحة

دار الفضيحة

للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة، القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس: ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة، شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات، دبي - ديرة - ص ب ٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

وكيلنا في المملكة المغربية،

دار الأخصاء

للطباعة والنشر والتوزيع

الرسماني بجزر الكناري

35 - 33 الشارع الملكي (الأحياس) - الدار البيضاء
الهاتف 30.42.85 - الفاكس 44.45.39

جميع الحقوق محفوظة للنّاشِر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ
لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ ، فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

وبعد :

فمن العبادات المهمة في الإسلام التفكير في مخلوقات الله
سبحانه وتعالى ومحاولة البحث عن خصائص تلك المخلوقات ليكون
الإقرار بالعبودية لله الواحد الأحد عن دراية و يقين صادق عملاً
بقوله عزت قدرته : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى
جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا
بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) .

فعالم الحيوان عالم رحيب جداً كرحابة الأكوان العلوية ، ومن
يسرّح الطرف في خصائص الحيوانات وتكوينها وتصور مراحل حياتها
وخدماتها الجلى لبني البشر ، وكيف إنها تتزاوج وتتناسل ، وتعتنى
بأولادها ، وتتفاهم فيما بينها وهي عجماء (٢) ، وتكسب رزقها ،

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٩١ . (٢) لا تنطق .

وتميز الحيوان الذي يصابها العَدَاء من الذي لا ضرر منه ، وكيف
تُهاجر من قُطر لآخر طلباً للرزق أو المُنَاخ الملائم ، ثم تُعود إلى
مواطنها الأصلية في الوقت المناسب بدون أن يختلف عليها الزَّمن
أو تخفى عليها المعالم .

فمن ذا الذي يتدبر هذه الأمور ولا يقف عندها مبهوراً أمام
عظمة الباريء المصوِّر جلَّت قدرته ؟ ثم لا يهتف قائلاً :

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

قال الجاحظ : « من علم البعوضة أن من وراء ظاهر جلد
الجاموس دماً ، وأن ذلك الدم غذاء لها ، وأنها متى طعنت في ذلك
الجلد الغليظ الشديد الصلب أن خرطومها ينفذ فيه على غير معاناة ،
ولو أن رجلاً منّا طعن جلده بشوكة لانكسرت الشوكة قبل أن تصل
إلى موضع الدم ... والذي سخر لخرطوم البعوضة جلد الجاموس
هو الذي سخر قمقم النحاس لإبرة العقرب » . انتهى .

إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك ،
وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك ، وانحسرت الأبصار دون
النظر إلى سبحات وجهك ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك
إلا بالعجز عن معرفتك ، فاهدنا يا أرحم الراحمين ، صراطك المستقيم
واشمل برحمتك من قال :

فِيكَ يَا أَعْجُوبَةَ الْكَوْنِ غَدَا الْفِكْرُ كَلِيلاً
أَنْتِ حَيَّرْتِ ذَوِي اللَّحْيِ وَبَلَبَلْتِ الْعُقُولَا
كُلَّمَا قَدَّمَ فِكْرِي فِيكَ شِبْرًا فَرَّ مِيلاً
نَاكِصًا يَخْبِطُ فِي عَشْوَاءٍ لَا يُهْدِي سَبِيلَا

* * *

من خلال بحثي في تراثنا من عدة سنوات ، عثرت على مخطوط
لعالم من علماء القرن السادس الهجري ، وهو ابن غانم المقدسي .
ولقد جذبني هذا المخطوط جذاباً شديداً ، لما يتحلى به من
أسلوب أدبي وعظي راق ، وظننت أنه من مؤلفات الإمام ابن الجوزي
- رحمه الله - ولكن بعد بحث لا يعرف الملل ، ثبت لي أنه من
مؤلفات ابن غانم المقدسي ، وعذري في هذا الظن هو الشبه الشديد
بين أسلوب ابن غانم وأسلوب ابن الجوزي ، ولأنه أول كتاب لابن
غانم أطلع عليه ، والحق أني اكتشفت أن ابن غانم على قلة مؤلفاته
صاحب شخصية أدبية لا تظال .

وها أنا أقدم لك أخي القارئ هذا الكتاب الجيد المفيد ، راجياً
من الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن تنتفع به .

والله أسأل أن يرزقني حسن النية وسلامة القصد ، وأن يجمع
لي بين صلاح الدنيا والآخرة .

عبد الوهاب محمد

* * *

ترجم المؤلف

هو عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين ، عزّ الدين أحمد الأنصاري الشافعي المقدسي .
اشتهر بابن غانم المقدسي ، ولقب بعز الدين ، وكنى بأبي محمد ،
حكيم ، صوفي ، واعظ .

نشأ في القدس في بيت مشهور بالتقى والصلاح وطلب العلم ،
فجده هو الشيخ غانم بن علي المقدسي . كان قدوة وسيداً من سادات
المشايخ وأعيانهم وأعلمهم بطريق القوم ، وكان له زاوية باسمه في
قرية بورين من عمل نابلس .

وأبوه هو الشيخ أحمد بن غانم أبو العباس الأنصاري المقدسي .
كان شيخاً جليلاً منقطعاً عن الناس ، مشتغلاً بأوراده وأذكاره
وتلاوته ، لا يضيع أوقاته في شيء من أمور الدنيا ، ولا يتطلع إلى
مشيخة أو رئاسة أو منصب .

وعمه هو عبد الله بن غانم أبو محمد الأنصاري المقدسي .
كان من أعيان المشايخ مشهوراً بالخير والعبادة ومكارم الأخلاق ،
وكان له زاوية معمورة في نابلس .

وابن غانم المقدسي هو الواعظ المُطَبِّق ، الشاعر الفصيح المفلق ،
الذي نسج على منوال ابن الجوزي وأمثاله ، وهو أحد المبرزين في
الوعظ والنظم والنثر في وقته ، ذُكر أنه عمل مجلساً بدمشق ،
فارتجل فيه خطبة مطلعها :

(الحمد لله الذي ملأ الوجود جوداً وإحساناً ، وأسبغ على
كل موجود من سوابغ نِعَمِهِ سرّاً وإعلاناً) ، وقد أورد خلال خطبته
هذه مقطعات من شعره تتغنّى بالحب الإلهي تثير الوجد والحنين ،
وتأخذ بمجامع القلوب .

وقد أورد له الكُتَّابُ أشياءً حسنة كثيرة مليحة ، وكان له قبول عند الناس ، ذُكِرَ أنه حَجَّ مرَّةً ، فتكلم تجاه الكعبة المعظَّمة ، وكان في الحضرة تاج الدين الفزارى من الشام ، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد من مصر ، وابن العُجَيل من اليمن ، وأمير مكة وغيره ، فارتجل خطبة أولها :

(الحمد لله ذى القدرة التى لا تضاهى ، والحكمة التى لا تتناهى ، والقسمة التى لا يضيق خلقٌ أن يتعدها ، الذى تعزَّز فى أزليته فلا يعرف الأول أُولاهَا ، وتسرمد فى أبدئته فلا يدرك الآخِرُ أخراها) .
وكانت وفاته - رحمه الله - بالقاهرة فى شوال من سنة (٦٧٨ هـ) ، وقبل وفاته كتب يقول :

إلهى أنت قلت ، وقولك الحق : أنا عند ظن عبدى بى ، فليظن بى ما شاء ، فأنت على لطفك دللتنى ، وفى جنب جودك أطعمتنى ، وإلى كرم حرمك أوصلتنى ، فقد حَسُن بك ظننى ، على ما كان منى ...) إلى أن قال : (إلهى أنت أمرتنا بالوصية ، عند حلول المنية ، فقد تهجَّمت عليك ، وجعلت وصيتى إليك ، عند قدومى عليك ... إلخ) .

مِنْ تَصَانِيفِهِ :

١ - الروض الأنيق فى الوعظ الرشيق - رسالة لطيفة فى الوعظ :
توجد منها نسخة خطية فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٤٣٤) .

٢ - حل الرموز ومفاتيح الكنوز :

وتوجد منه نسخ خطية كثيرة فى دار الكتب المصرية منها :
- ٩٩ ص خط ٩٤١ هـ (تصوف تيمور ٣٥٠) .
- ٧٠ ق خط ١٠٥٥ هـ (تصوف ٤٢٨١) .
- ١٠٠ ص خط ١٠١٨ هـ (تصوف تيمور ٢٨٦) .
- ٣٩ ق خط ١١١٧ هـ (تصوف ٦٣) .

٣ - الحديث النفيس في تفليس إبليس : وهي مناظرات له مع الشيطان ، وتوجد منه عدة نسخ خطية في دار الكتب المصرية منها :

- ٣٣ ق خط ١١٤٣ هـ (تصوف ٣١٩) .

- ١٦ ق خط ١٠٨٣ هـ (تصوف ٣١٩٥) .

- ١٠ ق (الزكية ٤٠٨) .

٤ - الفتوحات الغيبية في الأسرار القلبية .

٥ - كشف الأسرار ، ومناقب الأبرار ، ومحاسن الأخيار .

٦ - طرق الوسائل وتملق السائل .

٧ - شرح حال الصحابة والأولياء .

٨ - مفاخرة الأزهار والنباتات الناضرات ، ومجاهدة الأطييار

والجمادات الناطقات : توجد منها نسخة خطية في دار الكتب

المصرية ، كتبت سنة ١٨٤٠م بخط المستشرق يوحنا بن

يوسف وارسى الفرنسى ، وهي تحت رقم (١٥٨٦) وتقع

في (٧٧) ورقة .

٩ - نزهة اللواحق في العبر والمواعظ .

١٠ - الأجوبة القاطعة لحجج الخصوم الواقعة في كل العلوم .

١١ - الشجرة في التصوف .

١٢ - رسالة في شرح حديث : « السبعة الذين يظلهم الله تعالى

في ظلّ عرشه » .

١٣ - أفراد الأخذ عن أفراد العدد - رسالة لطيفة .

* * *

مَصَادِرُ التَّرْجَمَةِ :

- الأعلام للزركلى (٣٣٥/٣) .
- كشف الظنون (١٤٨٥/٢) .
- هدية العارفين (٥٧١/١) .
- البداية والنهاية (٢٨٩/١٣) عند دخول سنة ٦٧٨ هـ .
- شذرات الذهب (٣٦٢/٥) .
- معجم المؤلفين (٢٢٣/٥) .
- مرآة الجنان (١٩٠/٤) .
- إيضاح المكنون (٢٤٦/١ ، ٨٤/٢) .

* * *

هَذَا الْكِتَابُ

كتاب (كشف الأسرار) من الكتب الأدبية الوعظية الممتعة جداً . وهو عبارة عن محاورات نثرية وشعرية بين الطيور والأزهار وابن غانم ، القسم الأول منها في إشارات الأزهار ، والقسم الثاني في إشارات الطيور ، والقسم الثالث في إشارات الحيوانات .

وكان هدف المؤلف من تأليف هذا الكتاب هو توجيه الوعظ لأبناء جنسه من البشر وحثهم على الفضائل الأخلاقية وذلك على لسان الطيور تارة والأزهار تارة أخرى . وهذا أسلوب رائع اهتدى إليه المؤلف لمعرفته بطبيعة النفس البشرية الملولة النافرة للوعظ والإرشاد المباشر . وسوف يلمس القارئ من خلال تصفحه لهذا الكتاب مدى عبقرية ابن غانم الأدبية التي تميز بها ، والتي تذكرنا بأسلوب الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - .

واستخدم ابن غانم في كتابه جميع أساليب المحسنات البديعية من مجاز ، وكناية ، وجناس . كما استخدم أسلوب التلميح الجيد لتوصيل ما يريد ، مقتبساً من آيات القرآن الكريم .

وقد اختلف عنوان الكتاب في المخطوطات التي اعتمدت عليها :

- ففي نسخة دار الكتب كان العنوان : كتاب المختار لكشف

الأسرار في مناقشة الطيور والأزهار .

- وفي نسخة مكتبة طلعت كان العنوان : كشف الأسرار عن

حكم الطيور والأزهار .

- وفي نسخة مكتبة نجم الدين كان العنوان : كشف الأسرار

في لغة الطيور والأزهار .

- وفي النسخة المطبوعة كان العنوان : كشف الأسرار في حكم

الطيور والأزهار .

- وفي البداية والنهاية وغيره من المراجع : كشف الأسرار عن

الحكم المودعة في الطيور والأزهار .

- وفي نسخة جامعة كمبرج : كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار .

وقد رجحت اسم (كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار) لأنه أفضلهم وأصحهم ، ولأنه ورد على أكثر النسخ الخطية الموجودة للكتاب ، وكذا في باقى المراجع التى أشارت للكتاب .

وقد طُبِعَ كتاب (كشف الأسرار) - على حسب علمى - ثلاث طبعات :

١ - طبع بمصر سنة (١٢٧٥ هـ) طبعة حجر لصاحبها يوسف بير ، بحثت جاهداً عن هذه الطبعة فلم أتمكن من العثور عليها .

٢ - طبع بمصر سنة (١٣٣٠ هـ) فى المطبعة الحسينية المصرية على نفقة عبد الفتاح أفندى أحمد صاحب مكتبة الكمال بشبين الكوم . والحمد لله عثرت على هذه الطبعة فى مكتبة الحاج / طه عاشور ، واستعنت بها فى تحقيق الكتاب مع باقى المخطوطات .

٣ - طبع بمدينة دمشق سنة (١٤١٠ هـ) فى دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع ، بتحقيق الدكتور مختار هاشم . وقد تفضل الحاج / طه عاشور صاحب دار الفضيلة بإعارتى هذه النسخة كى أستفيد منها قبل طبع الكتاب مرة أخرى .

وقد ذكر الدكتور مختار فى مقدمة كتابه أنه عثر على نسخة مطبوعة للكتاب ، طبعت فى مدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية سنة (١٨٢١ م) ، واعتنى بتصحيحها وترجمتها من اللغة العربية إلى الفرنسية الفقير (يوسف أليودوروس غرسين) .

كما ذكر أنه عثر على نسخة طبعت فى القاهرة سنة (١٢٩٠ هـ) على ذمة شيخ السادة الحضارمة الشيخ صالح باعيسى .

وهذا إن دل على شىء ، فإنما يدل على أن كتاب (كشف الأسرار) لابن عانم قد لقى القبول والذيع بين الناس ، وهذا لكثرة النسخ الخطية الموجودة له فى المكتبات .

كتاب كشف الأسرار وصححة نسبه لابن غانم المقدسي

اتفقت جميع النسخ الخطية التي اطلعت عليها على نسبة كتاب
(كشف الأسرار) لابن غانم المقدسي ، كما اتفقت المراجع التي نظرت
فيها على نسبة الكتاب له ، فقد ذكره :

- حاجي خليفة في كشف الظنون (١٤٨٥ / ٢) .
- خير الدين الزركلي في الأعلام (٣٥٥ / ٣) .
- البغدادي في هدية العارفين (٥٧١ / ١) .
- ابن كثير في البداية والنهاية (٢٨٩ / ١٣) .

* * *

النسخ الخطية لكتاب كشف الأسرار

لكتاب كشف الأسرار نسخ خطية كثيرة في دار الكتب المصرية
العامرة ، فيوجد بها النسخ الآتية :

- ٧٣ ورقة خط ٩٨٢ هـ (أدب ٧٧٦٠) .
- ٣٧ ورقة خط ١١١١ هـ (أدب طلعت ٤٤٩١) .
- ١٥٤ صفحة خط ١٠١٣ هـ (أدب تيمور ٢٥٧) .
- ٣٦ صفحة (أدب تيمور ٧٥٥) .
- ٥٠ صفحة خط ١٢٦٧ هـ (الزكية ١٧١) .
- ٣٤ صفحة (أدب طلعت ٤٧٢٣) .
- ١٨ لوحة عن نسخة الدار - رقم ١٧١ مجاميع . م
(ز ٣٩١٨٩) .

وهناك نسختان من كتاب كشف الأسرار في قسم المخطوطات
العربية بمكتبة جامعة كمبرج :

- الأولى : تتألف من (٥١) ورقة قياس ٢٠,٨ × ١٥,٤ -
الناسخ محمد عابدين بن إبراهيم عابد .
- الثانية : تتألف من (٦٠) ورقة قياس ١٩,٥ × ١٢,٦ .

* * *

وَصَف النَّسْخِ الْخَطِيَّةِ الَّتِي اعْتَمَدَتْ عَلَيْهَا فِي تَحْقِيقِ الْكِتَابِ

قد يَسَّرَ اللَّهُ لِي وَحَصَلْتُ عَلَى أَرْبَعِ نَسَخٍ مِنْ كِتَابِ (كَشْفِ
الْأَسْرَارِ) :

١ - نسخة مكتبة دار الكتب المصرية :

في مجلد بقلم معتاد - مسطرتها (١٧) سطر - مقاس الصفحة
٢١,٩ × ١٥,٥ - تقع في (٧٣) ورقة - ورقمها (٧٧٦٠)
أدب) كتبت سنة ٩٨٢ هـ ، وهي نسخة عليها تصحيحات
ومقابلة على نسخة أخرى .

٢ - نسخة مكتبة طلعت التابعة لدار الكتب المصرية :

في مجلد بقلم معتاد حسن - مسطرتها (١٩) سطر - مقاس
الصفحة ٢١ × ١٦ - تقع في (٣٧) ورقة - ورقمها
(٤٤٩١ أدب طلعت) ميكروفيلم رقم (١٢٨٤٣) - كتبت
سنة ١١١١ هـ على يد كاتبه العبد الفانى محمد محيي الدين
إمام زاوية سيدى عبد الوهاب الشعرانى ، وهي نسخة محلاة
برسوم ملونة .

٣ - نسخة مكتبة الشيخ نجم الدين الخاصة :

في مجلد بقلم معتاد حسن - مسطرتها (٢١) سطر - مقاس
الصفحة ٢٠ × ١٤,٥ - تقع في (٤٠) صفحة - بها نقص
يسير من أولها - بدون تاريخ نسخ .

٤ - نسخة مكتبة تيمور التابعة لدار الكتب المصرية :

في مجلد بقلم معتاد حسن - مسطرتها (٢١) سطر - مقاس
الصفحة ٢٢ × ١٦ - تقع في (٣٦) صفحة - ورقمها
(٧٥٥ أدب تيمور) ميكروفيلم رقم (٢٧٨٥٥) .

* * *

عملي في الكتاب

كان عملي في تحقيق الكتاب سائراً - بفضل الله تعالى -
وفق الخطوات التالية :

١ - قارنت بين النسخ التي بحوزتي مقارنة دقيقة ، بغية الوصول
بالنص إلى أقرب صورة صحيحة وواضحة ، ولم أثبت في
مجموع المتن أيّاً منها ، بل لفتتُ بينها واخترت ما رأيتُه مناسباً
وموصلاً إلى النص السليم الذي قصده المؤلف .

٢ - لم أشر إلى الاختلافات الكثيرة بين النسخ لكثرة ذلك ،
وحتى لا أثقل الهوامش .

٣ - أعملت جهدي لضبط النص ، وشرح ما غمض من ألفاظه ،
وشكلت ما رأيتُه بحاجة إلى الشكل .

٤ - خرجت الآيات التي أشار إليها المؤلف .

٥ - لم أكثر التعليقات والحواشي في الهامش حتى لا أخرج
بالكتاب عن هدفه الذي أرادَه المؤلف .

وإني أرجو أن أكون قد وفقت إلى خدمة هذا الكتاب ،
وإخراجه بصورة صحيحة ، فإن كنت أصبتُ فمن الله سبحانه ،
وإن أخطأت فمن نفسي .

إِنْ تَجِدْ غَيْباً فَسُدِّ الْخَللاً جَلُّ مِنْ لَا غَيْبٍ فِيهِ وَعَلَا

عَلَى عِزِّ الرَّهْبِ مُحَمَّدٌ

* * *

كتاب المختار لكشف الاسرار في مناقشة الطيور والازهار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الامام العالم العلامة لسان الفضا والمكين

عز الدين بن عبد السلام المقدسي رضي الله عنه وارضاه وجعل

الجنة مثواه والحمد لله البعيد في قرباه والقريب في بعده المتعالي

في رفيع مجده وعن الشئ وضده الذي اوجد بقدرته الوجود بعد

ان كان عدما واوجد كل موجود موجود حكما وجعل العقل

بينها حكما ليميز بين الشئ وضده واليهما بها علم مرمد قل

مصاها من حلاوة شهده فمن نكر بفضيح فضده ونظر بتوفيق

رشدته ما علم ان كل مخلوق موثوق في قبضتي شقائه وسعدته

مرزوق من خزاين نعمه ورفده ما يفتح الله للناس من رحمة فلا

سك لها وما يبسك فلا مرسل له من يعده ما فلو ضفت عين بصيرتك

واصغيت يا قظتلك لا سمعتك كل شئ موجود ما يجده من متقدات

وجده وما يكيره من وجدان بعده ما لم تسمع للنسيم كيف تنفس

استبفا لبا السحاب على جزره ومدته وتاوه لها على تبسم البرق

ما سمع قهقهة رعدة ما لم تسمع للربيع ما هو يبشرك بورود وزده

واخبرك بنشور وردة وشرود برده وسعر اليك بانقلاب الشتاء

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية

ليلتظوا حبة المحبة في مقعد صدق عند مليك مقتدر
 موصولوا حين حصلوا ، وانصلوا حين وصلوا ، ما فنظروا ما رذا
 الحجب قد رفعت ، والاكوان قد وضعت ، والاجاب
 قد جمعت ، ما فضل لاذن فذ سمعت ، ما شعروا
 يا قلب بشر اك ايام الرضا رجعت ،
 ما هذه الدار بالاجاب فذ جمعت ،
 ما ان ترى سمات اكي قد عقت ،
 ما انقاسها وبروق البرق قد لمعت ،
 ما بعثت هنيئاً بوصول غير منفضل ،
 ما من نيب فحجب العجز قد رفعت ،
 ما وانظر رجال الذي من اجل رؤيتهم ،
 ما قلوب عشاقه من حبه الضد عقت ،
 ما تم الكتاب بحمد الله وعونه ، وحسن توفيقه ،
 ما علي الفقيه محمد بن يحيى الرضا ،
 ما يوم السبت في العشر الاخير من شهر ربيع
 ما شهر ذمب الفغدة من شهر ربيع
 ما سنة اثنين وثمانين
 ما شهر ربيع
 ما شهر ربيع

الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية

الزهر وجنته وصفت أعلامه المخلقة بسعته
 فوثب إليه النوح قايما للقيام بوردته وأقبل النوح
 يتسقى ثوبه وقد فلكته في حصى خده وسكني
 إليك الجلائر نخل نار تبعه وصدا العندليب
 على عوده الرطيب بقده وناح العاشق بما يكاد يسه
 ثنت هوى زيبه وفضله وهام في جوارات خلواته
 باسمعه بن طيب نجاة ففرها ربا الي من يعلم جنابا
 ما نداه وحالم يملك فالعارف من سكر سواي المنعم
 واحضن معاذن الحكمة ولم يفتنع من اللين إلا بزبدته
 وإن الله ما أحدث حادثة وأهله بكل واقف على حده
 بات على حفظ عهدته من يصدق وعيه ووعده
 وإن من شيء إلا يسبح بحمده أحسن وأسهل توفيق
 حله وأسبغك إن لا إلا الله وحده لا شريك له
 في علو جبهته وأشبهك أن سيدنا محمد أعين ويزيد
 الذي أنزل عليه في حكم كتابه بيان توفيق قدس وقد
 سبحان الذي أرى بعينه حسني الله وسلم عليه
 وعلى الهدى وصيحه وعسيره وجنته وعرشك
 فاني نظرت بعين التحقيق نورانية بنور الصدق
 والتوفيق إن كل مخلوق ممن يوحى الخالق وكل

١٨

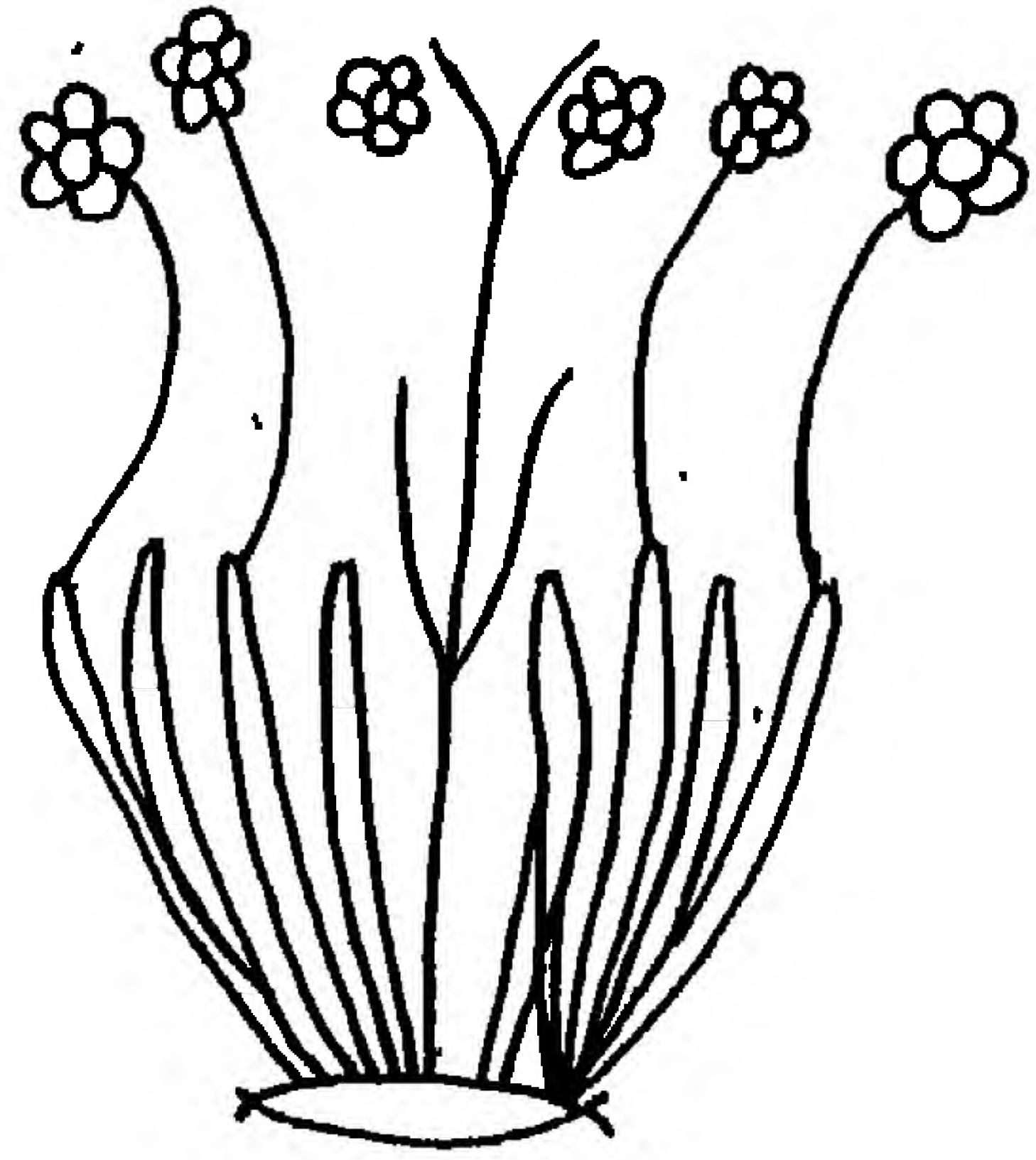
الحمد لله الرحمن الرحيم
 الحمد لله البعيد في قربه العزيز في بعبه المتعالي
 في مجده عزهزل القول وجبه المقدس في رفيع مجده
 الذي أوجد ما كان عداه وأودع كل موجود حكا
 ليعز بين السى وضده واليه بما علمه فعلم مدائق آية
 من شهادته من تفكر بصح قصده ونظر بتوفيقه
 علم كل مخلوق في بعبه شقايد وسعده مزروق
 من خرابي نعده ورفعه ما يقع الله للناس من رحمة
 فلا حسرتك لها ما حسرتك فلا مرسل له من بعده
 فلو صفت عين بعيرتك وانجلت مراره سريرتك
 واضغبت بسبع نياطك لاسمكت كل موجود ما حكه
 من فقد ان وجده وما يكابيه من وجدان فقله
 المرشع الى المنسم كيف تدسم سفا لك المسحاب على
 بزاي يعلو وتاوه لها على تبسم البوق لما سمع من
 قبهده وتاسم الى الزبيع ثاهو قد بشرك
 بوزود وترتد ان بشرود بودة وسعي الملك
 بانقلاب الشفا وهزمه وردة وروى الملك القبول
 بوتي الروض وترده وسكني الملك البان مان من
 مايل قلبه وانى الملك ألا تحران ما حاشن الوان

نسخة مكتبة طلعت
 من الأوراق الأولى

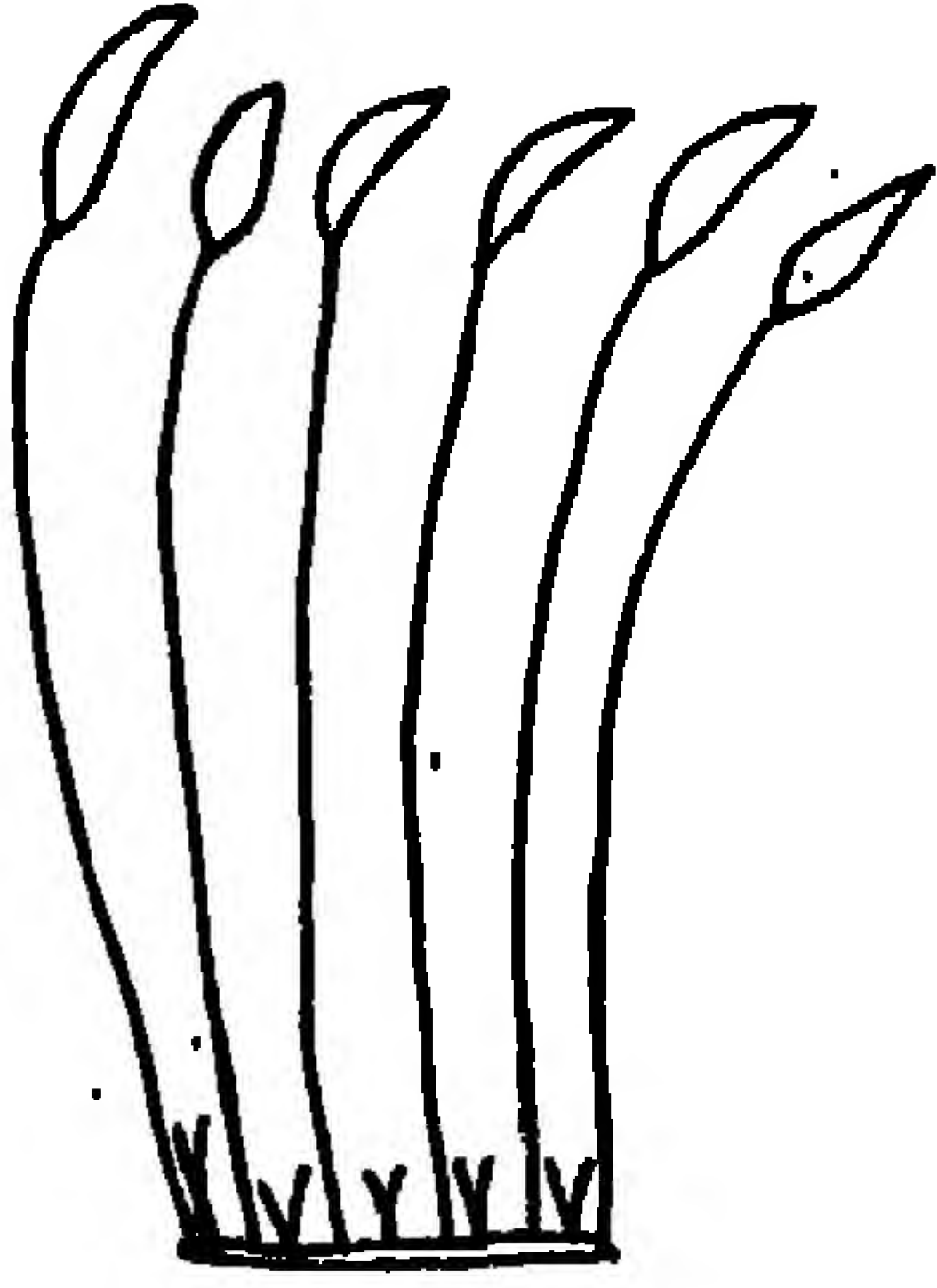
أخب من الخلق في سبب العلووات نحو الأزام في الحافل
ولا الخجل منه الذارع والكافل ولا تقطعت أيدي الأسافل
ولا احد اللا غيب والحافل ولكن بعيد من المنازل
المعراج الفخيم وقعت بالقنار والشبح حيث
الريح فتعلمني الي دعوي التقدير والشبح ولا
يلتقي لشري الامن له شوق صبح ودوق صبح ومن
هو علي زهد المسيح وضبر الذبح وانا رفيق السواح
في العذو والبرواح فافوز بالاحور واسلم من حصون
اهل الفجور ومن تعرفه المعاصي بالمجور ولا احضر
علي منكر ولا اجلس عند من يشرب ويسكر وانا الحر الذي
لا اباغ في الاسواق ولا ينادي علي بالتفاق في سوق النفاق
ولا يجتر في المساق ولا ينظر في الامن شمر عن ساق
وركب العزيم وساق فلورا بيتي في البوادي بهم
الشم في كل وادي اعطر النادي بشتري الهادي ان
عمر من بذكره الحادي عن اليه كل رايح وعاد كعب
واشار في ذلك لسان الكالب شمع
بجدي الشم عن الخزاما ويقربني عن الشبح السلام
فهمت بما فهمت وطبت وجدا فما احلاه في لو كان داما
ولتري تحت جوع الليل سرا فتوقظني وقد جمع البامبا
واسكر من شداها حين هبت كاني قد ترشفت المداما
تعارصني باقاسمرا حين كاتقاس وقد حثت عزاما

أول صفحة من نسخة نجم الدين

الفرجين



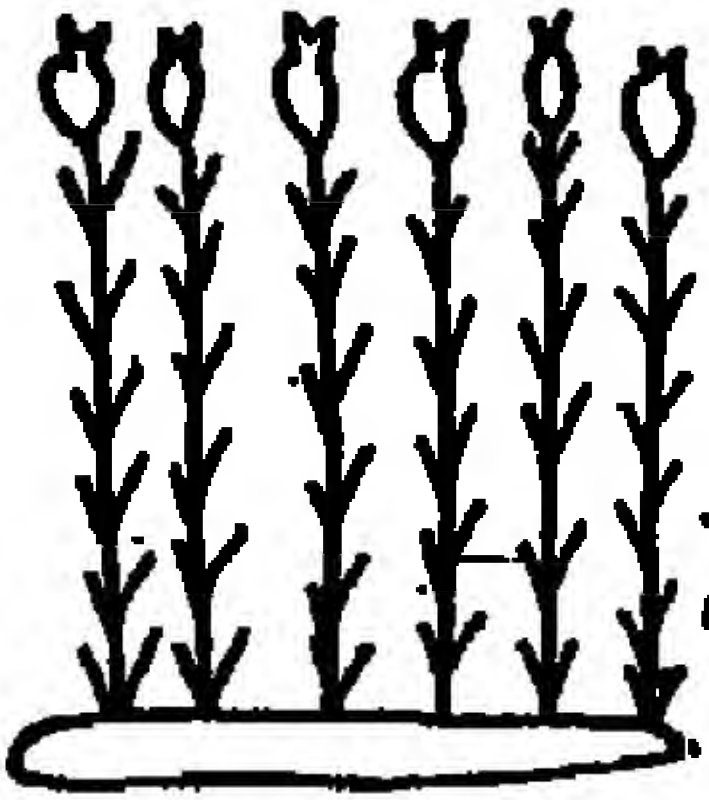
اللينوفر



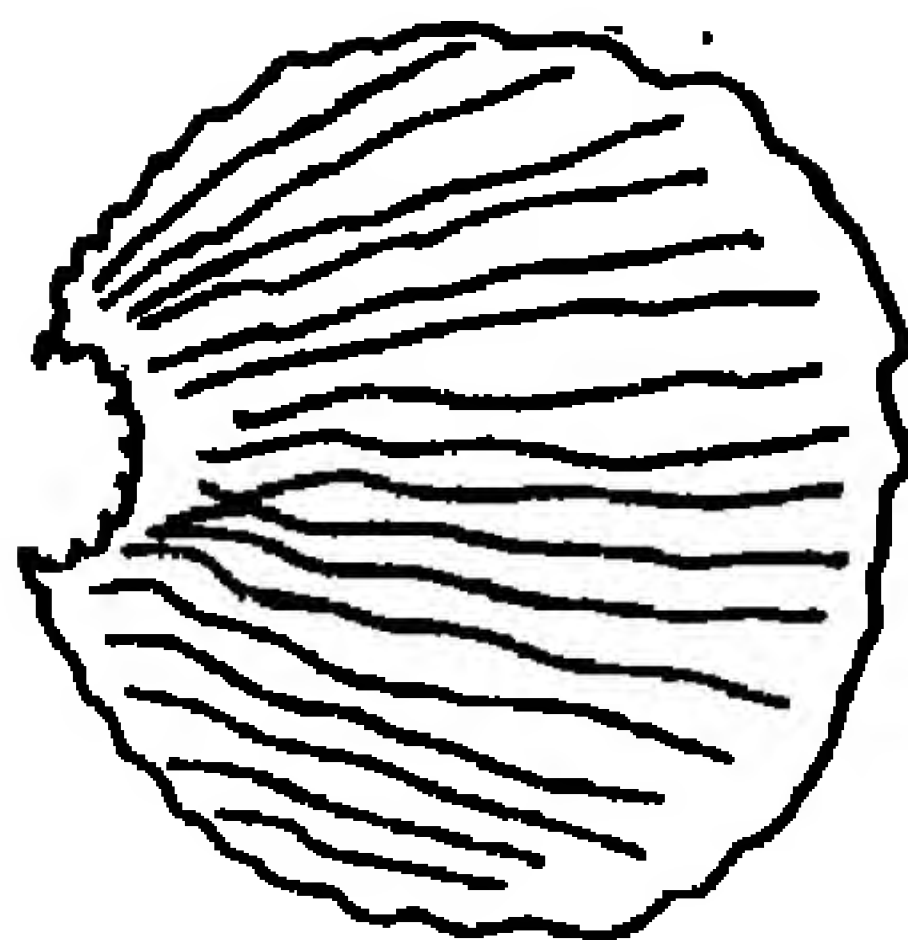
الورد



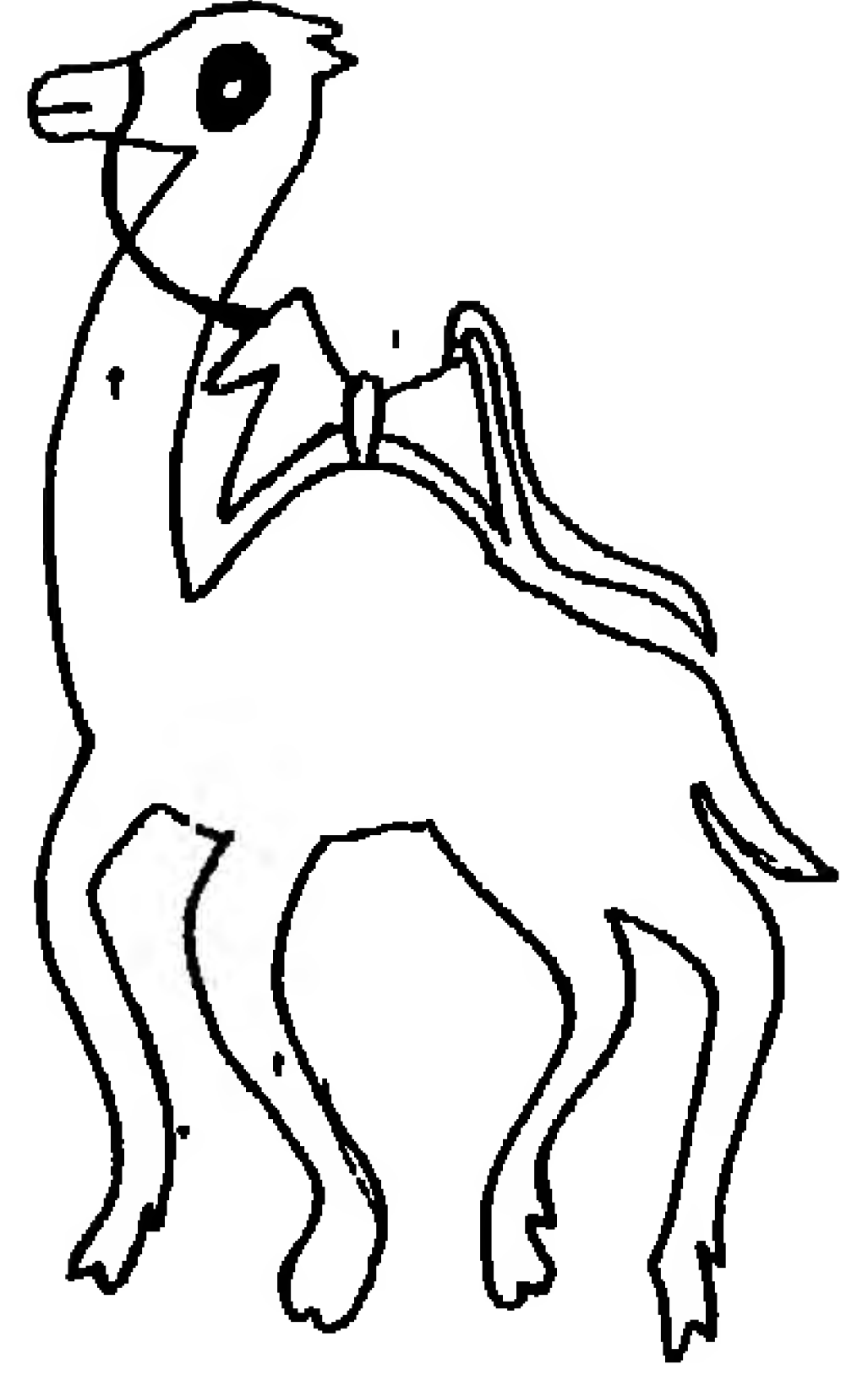
البات



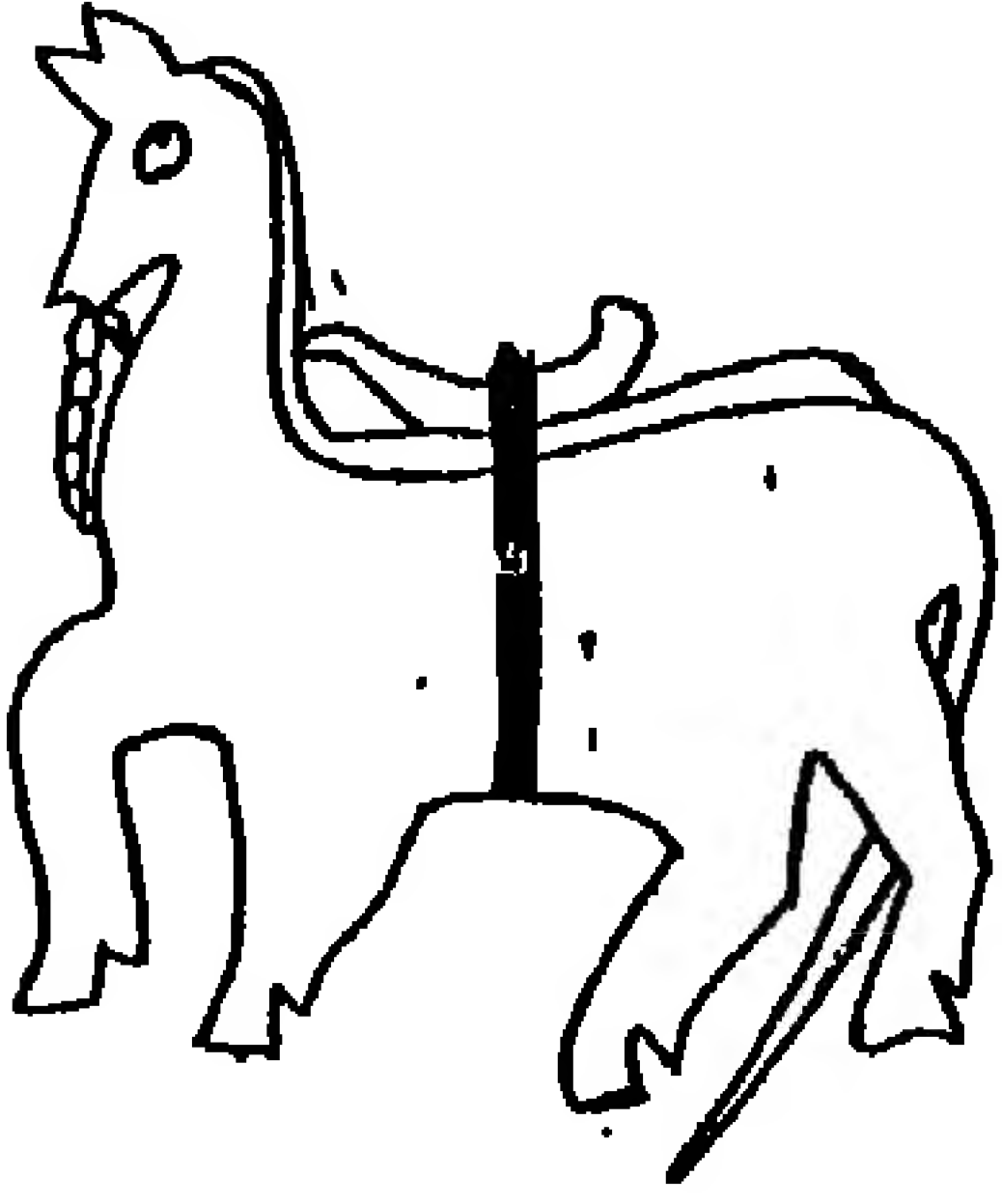
النسيم



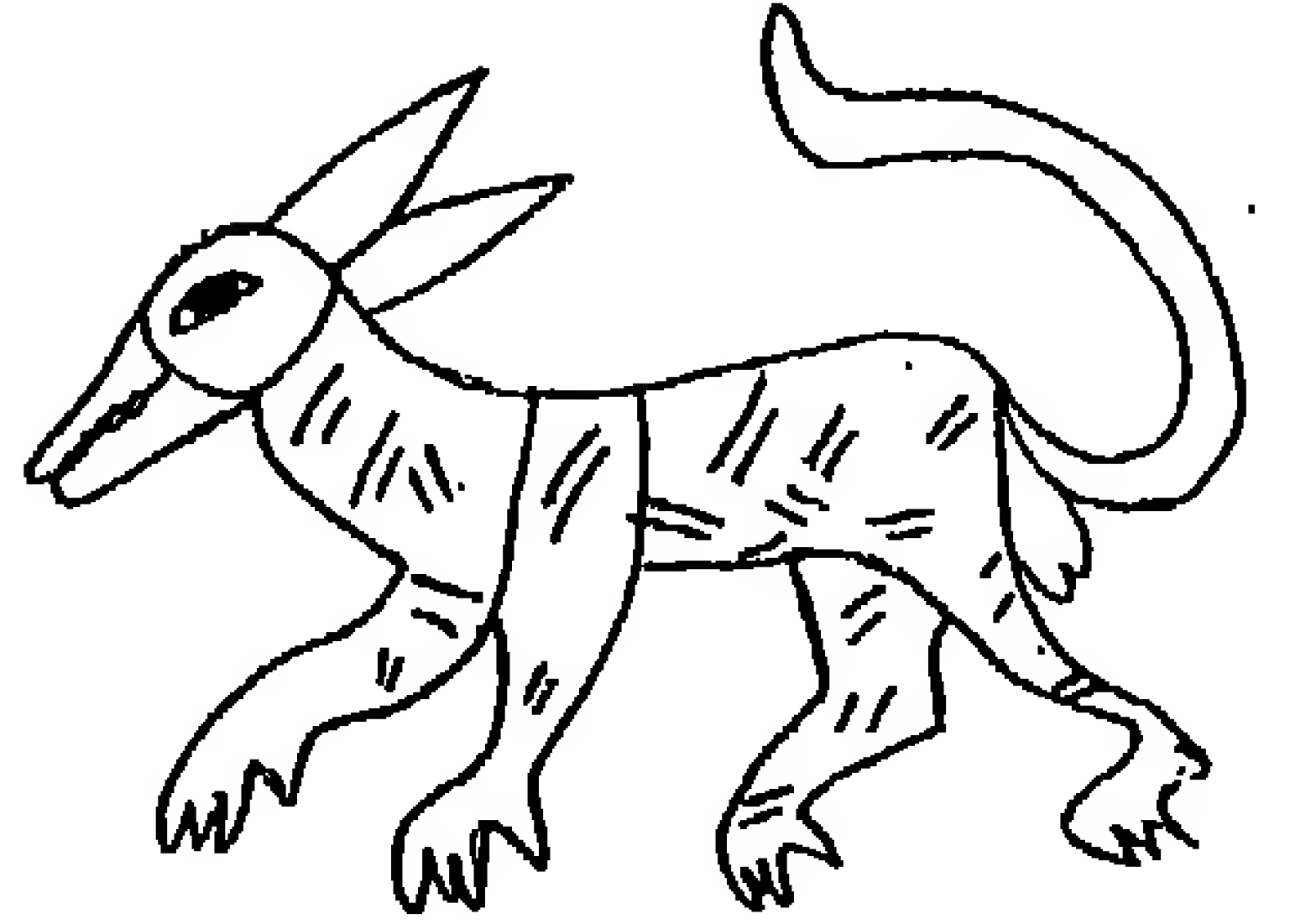
الجمال



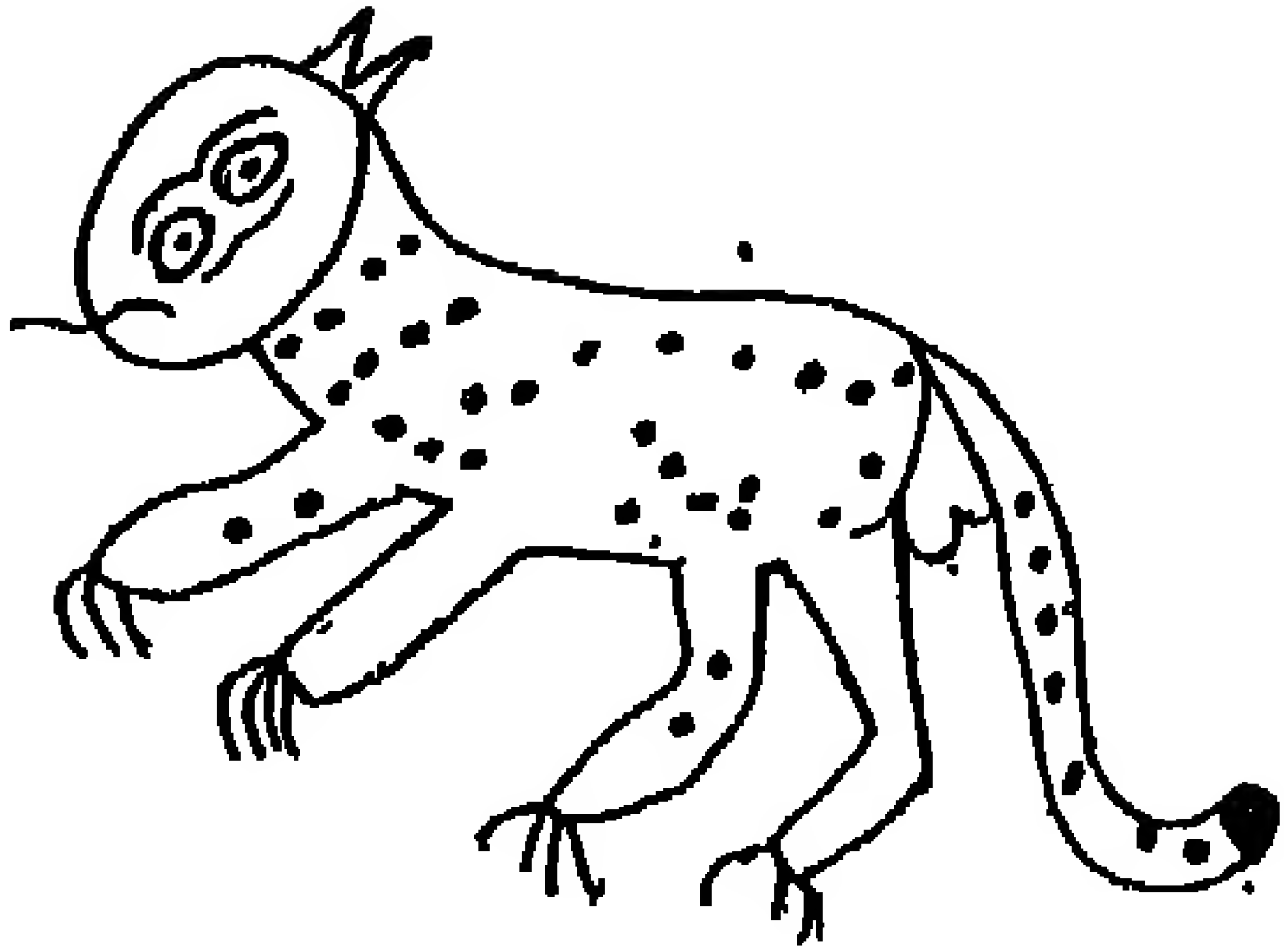
الفرس



الكلب

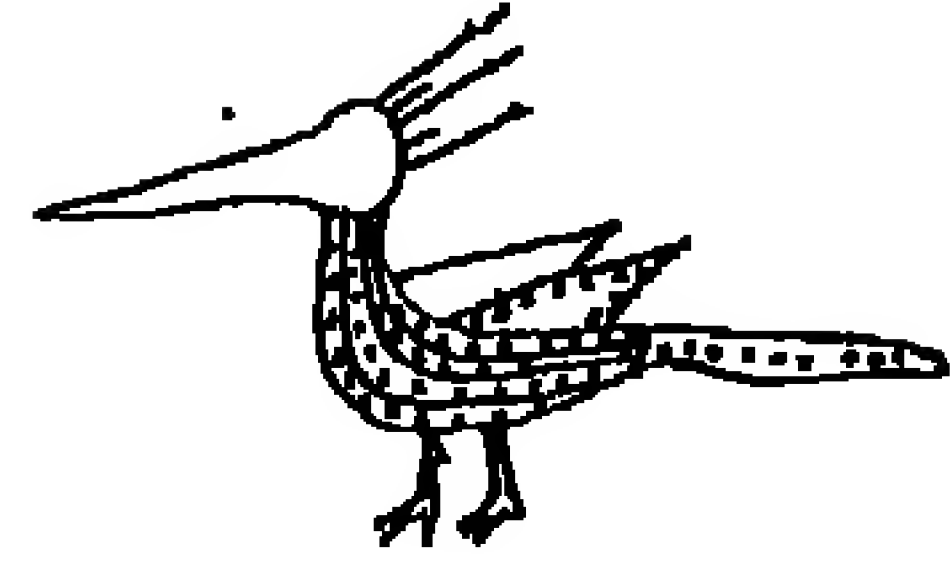


الفهد

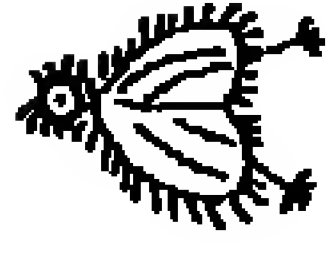


بعض الرسومات الموجودة في نسخة مكتبة طلعت

الهدد



النحلة



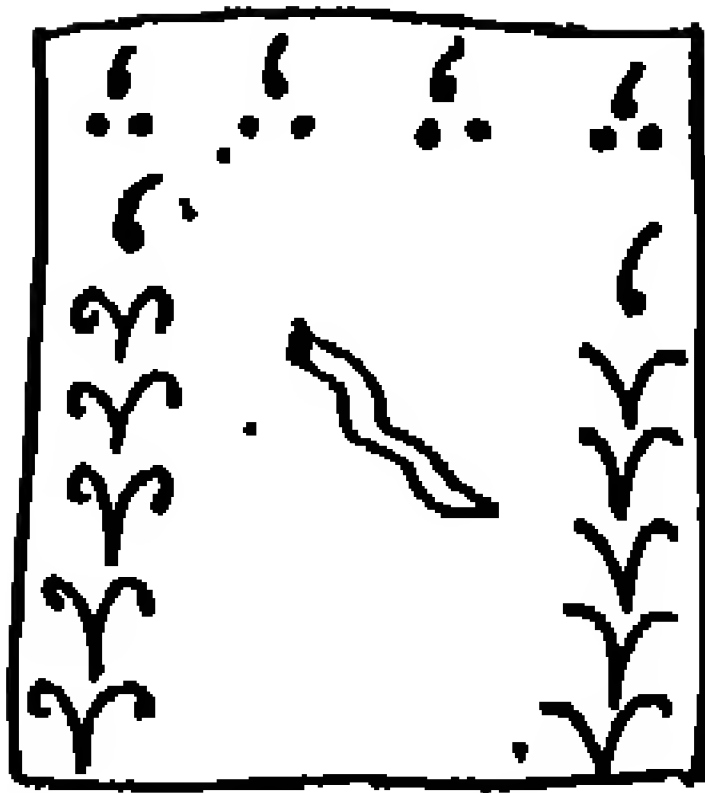
الشمعة



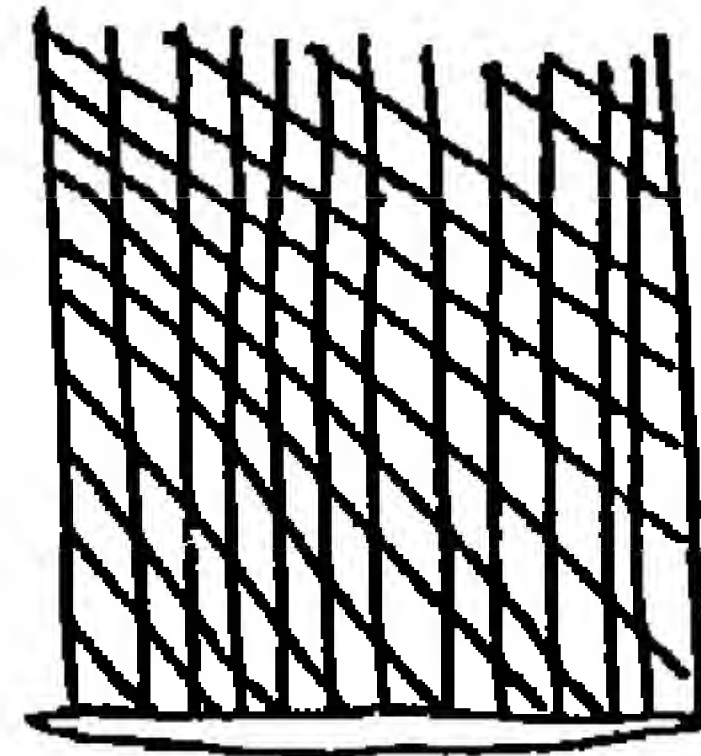
الفراش



الدودة



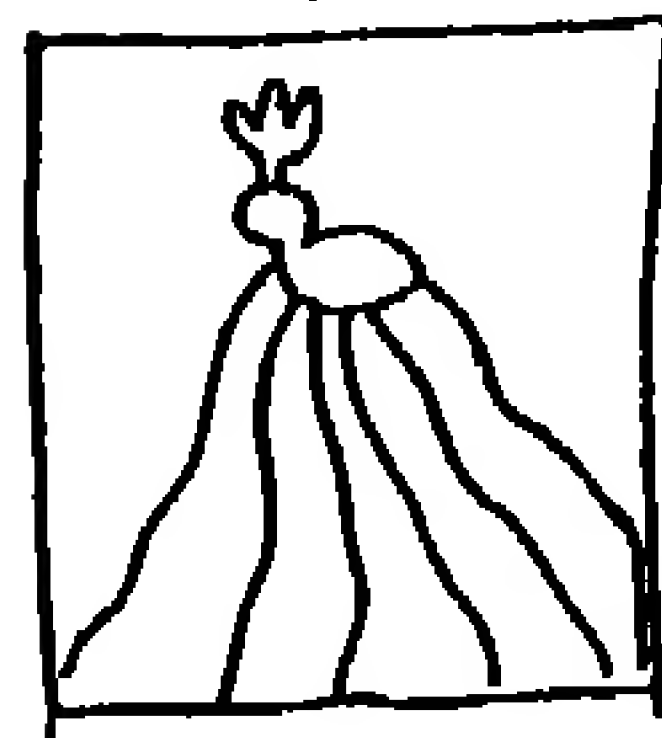
النار



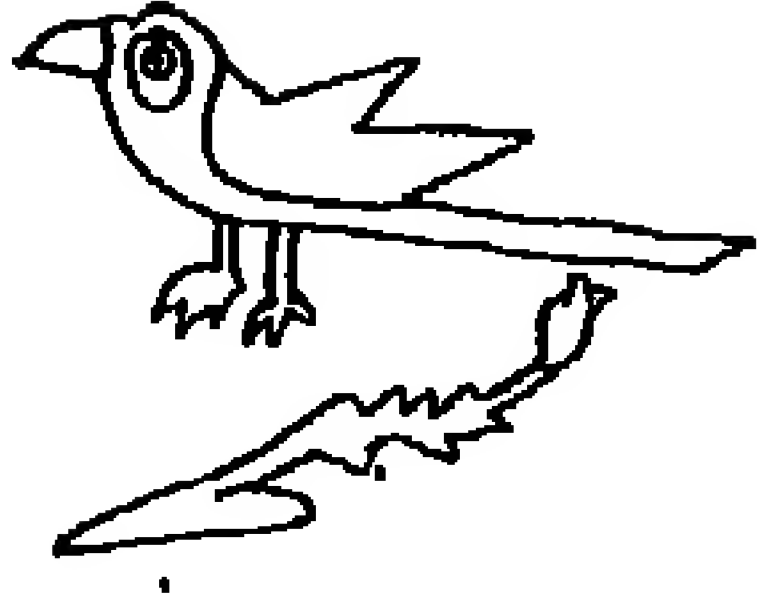
النبلة



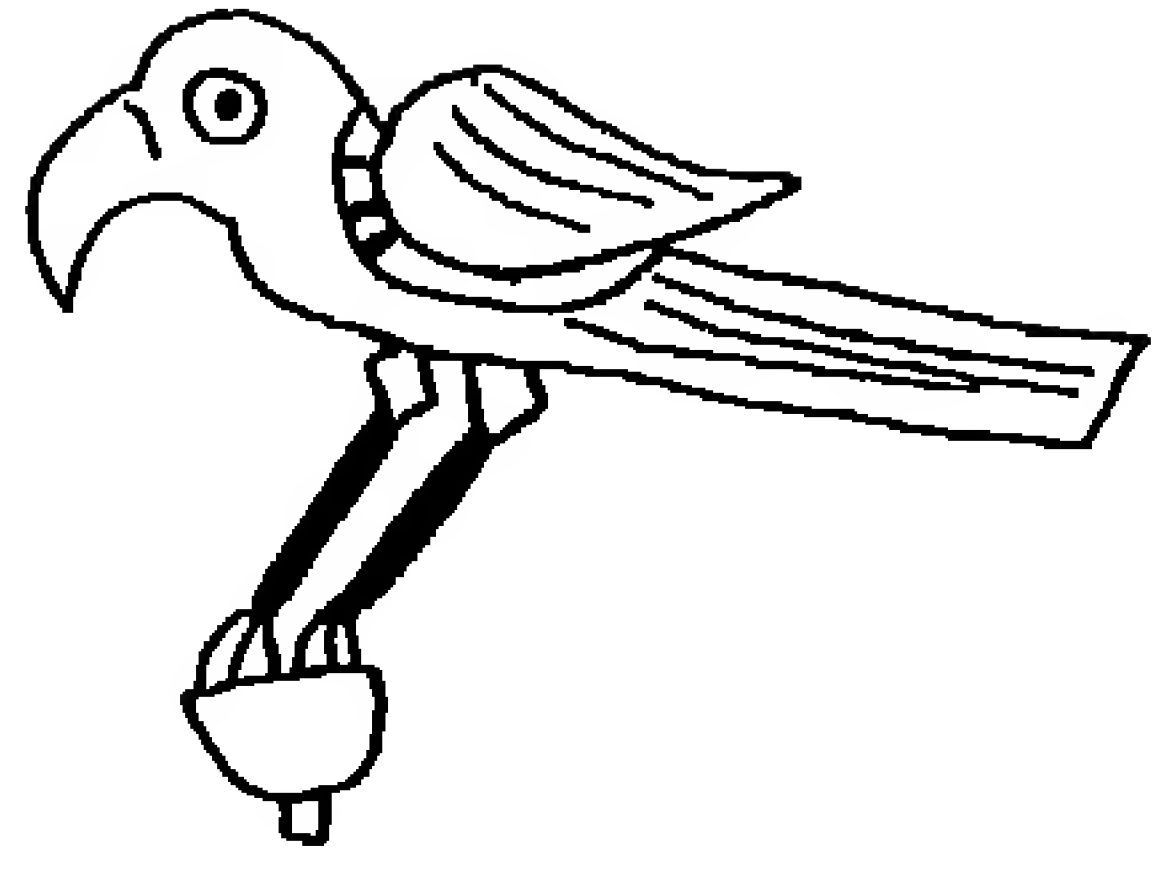
العنكبوت



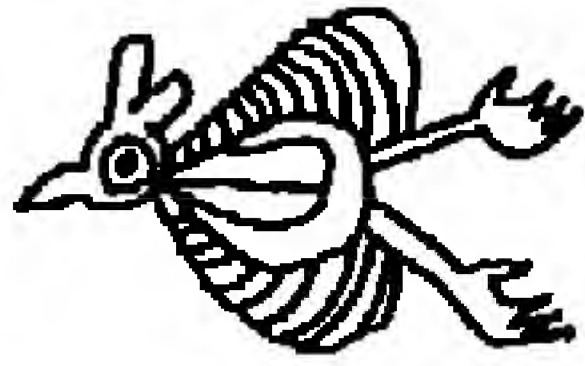
الخطاف



الباز



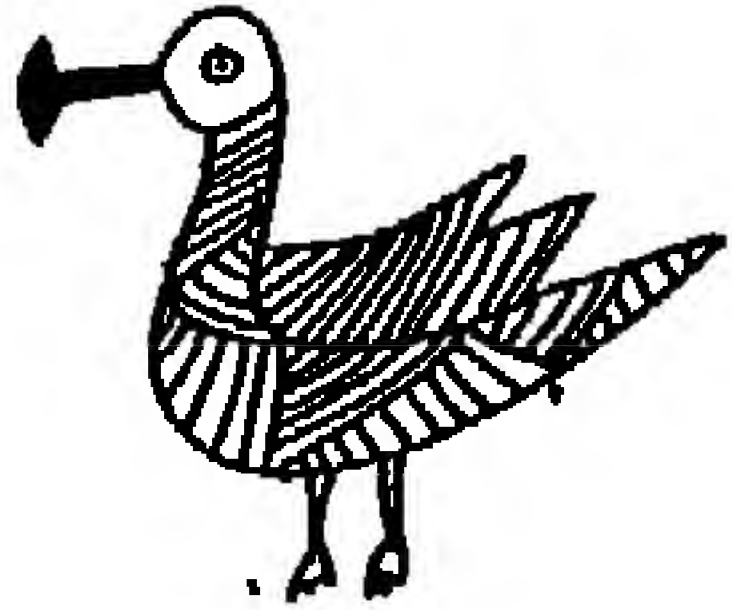
الخفاش



البومة



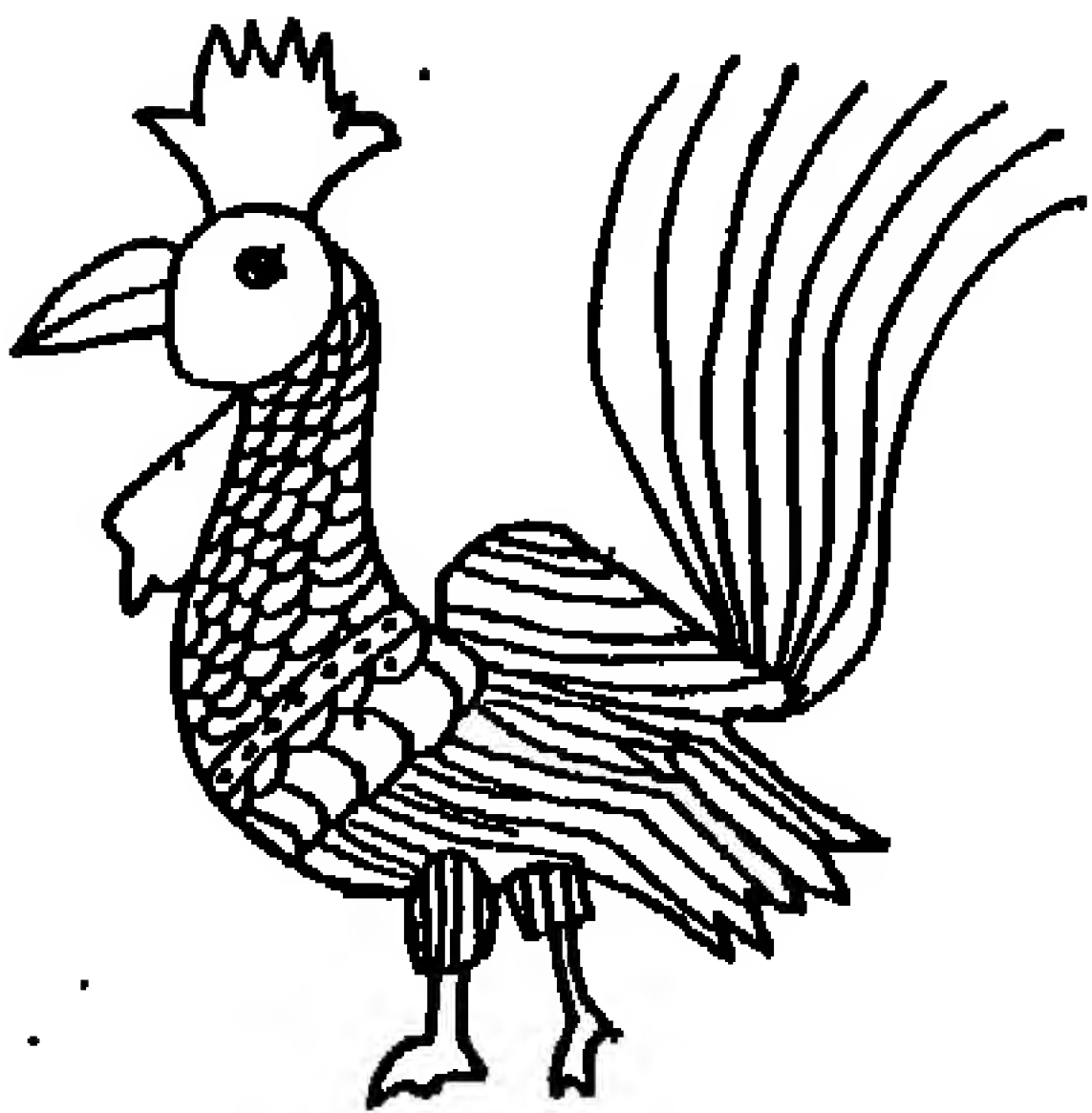
البطة



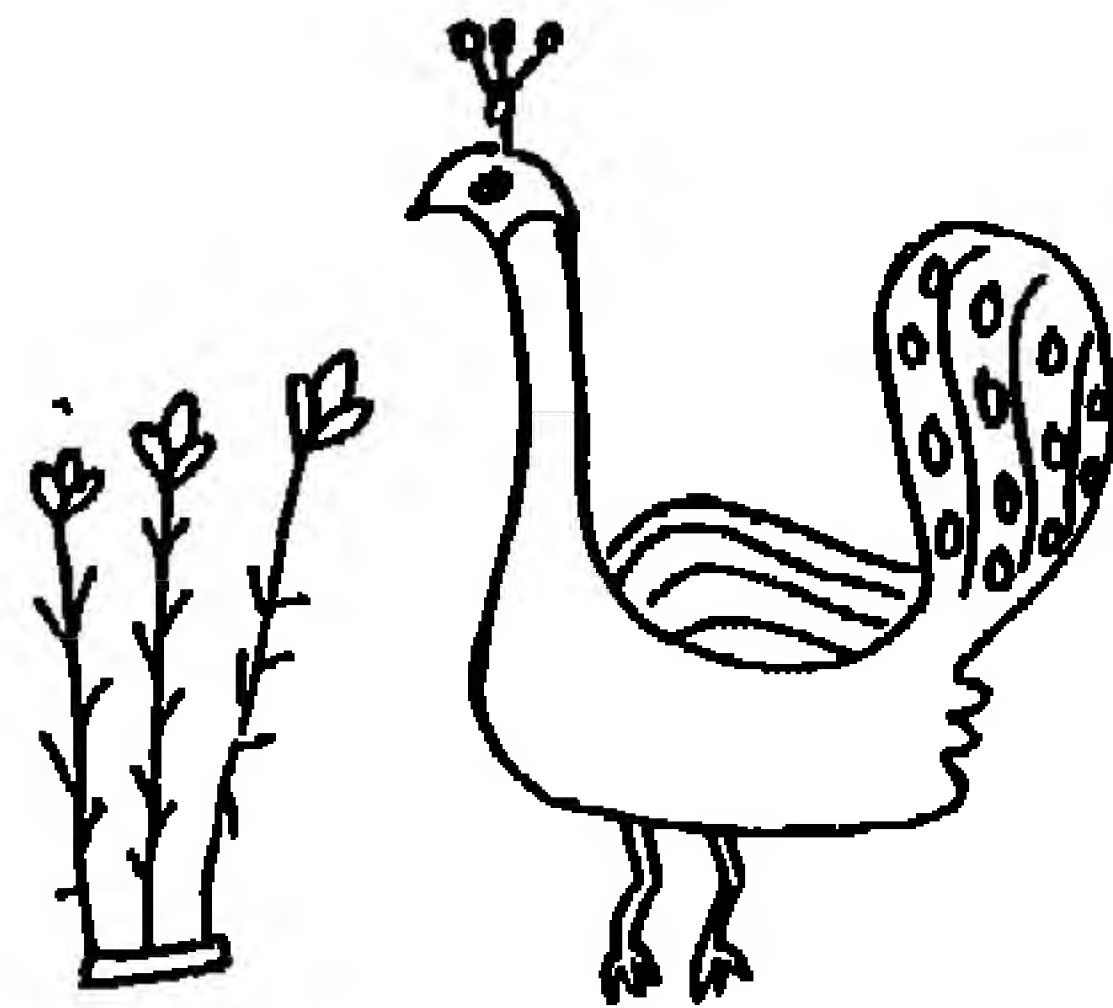
الحمامة



الديك



الطاووس



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةُ الْمُصَنَّفِ

الحمد لله البعيد في قُربِه ، القريب في بُعده ، المتعالى فى رفيع مجده ، عن الشىء وضده ، الذى أوجدَ بقدرته الوجود بعد أن كان عَدَمًا ، وأودع كلَّ موجود حِكَمًا ، وجعل العقلَ بينهما حَكَمًا ، ليميز بين الشىء وضده ، وألهمه بما علّمه فعلم مرّ مذاق مصابه من حلاوة شَهيدِه . فمن فكر بصحيح قصده ، ونظر بتوفيق رُشدِه ، علم أن كل مخلوق موثوق فى قبضتى شقائه وسعده ، مرزوق من خزائن نِعَمِه ورفده ^(١) ، قال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ ^(٢) .

فلو صفت عين بصيرتك ^(٣) ، وانجلى مرآة سريرتك ^(٤) ، وأضعيت بسمع يقظتك ، لأسمعك كلَّ شىء موجود ما يجده من

(١) رفته : (الرُفْد) بكسر الراء ، العطاء والصلّة .

(٢) سورة فاطر : الآية (٢) ، وتتمة الآية : ﴿ ... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(٣) بصيرتك : (البَصْر) حاسة الرؤية . و (أبصره) رآه . و (البصير) ضد

الضيرير . و (بَصُر) به ، أى علم به فهو (بصير) . ومنه قوله تعالى : ﴿ بَصُرْتُ بِمَا

لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ [طه : ٩٦] . و (التَّبَصُر) التأمل والتعرف .

(٤) سريرتك : (السَّر) الذى يكتم ، وجمعه (أسرار) . و (السَّريرة) مثله ،

وجمعها (سرائر) .

منتقدرات وَجَدَه^(١) ، وَمَا يَكَابِدُه^(٢) مِنْ وَجْدَانٍ بَعْدَه ، أَلَمْ تَسْمَعْ
لِلنَّسِيمِ كَيْفَ تَنْسَمُ أَسْفَاً لِبِكَاءِ السَّحَابِ عَلَى جِزْرِهِ وَمَدِّهِ ، وَتَأْوَهُ^(٣)
لَهْفًا عَلَى تَبَسُّمِ الْبَرْقِ لَمَّا سَمِعَ قَهْقَهَةَ رَعْدِهِ ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ لِلرِّبْعِ مَا هُوَ
يَشْرِكُ بِوُرُودِ وَرْدِهِ ، وَأَخْبَرَكَ بِنَشُورِ^(٤) وَرْدِهِ وَشُرُودِ بَرْدِهِ ، وَسَعَى
إِلَيْكَ بِانْقِلَابِ الشِّتَاءِ لِحَرْبِهِ وَمُزْدِهِ ، وَوَشَى إِلَيْكَ الْقَبُولَ بِوَشَى
الرُّوْحِ وَبُرْدِهِ ، وَشَكَى إِلَيْكَ الْبَانَ^(٥) مَا بَانَ مِنْ تَمَائِيلِ قَدِّهِ ، وَأَنْهَى^(٦)
إِلَيْكَ الْأَقْحَوَانَ^(٧) مَا حَازَ مِنْ أَلْوَانِ الزَّهْرِ وَجُنْدِهِ ، وَحَقَّقَ^(٨) أَعْلَامَهُ
الْمُعْلِمَةَ بِسَعْدِهِ ، وَوَثَبَ النَّرْجِسَ قَائِمًا لِلْقِيَامِ بِوَرْدِهِ ، وَأَقْبَلَ الشَّقِيقَ
عَلَى تَشْقِيقِ ثَوْبِهِ وَقَدِّهِ ، فَكَأَنَّهُ ثَكَلَى^(٩) لَأَطْمَأْ عَلَى حَمْرَةِ خَدِّهِ ،
وَوَصَفَ إِلَيْكَ الْجَلْنَارَ جُلَّ نَارِ هَجْوِهِ وَصَدِّهِ ، وَنَاحَ الْعَنْدَلِيْبَ^(١٠)

- (١) وَجَدَه : (وَجَدَ) فِي الْحَزْنِ (وَجْدًا) بِالْفَتْحِ أَيْ حَزَنَهُ .
وَالْوَجْدُ : مَا يَصَادِفُ وَيُرَدُّ عَلَيْهِ بِلا تَكْلِفٍ وَتَصْنَعٍ ، وَعَكْسُهُ الْفَقْدُ .
(٢) يُكَابِدُهُ : (كَابَدَ) الْأَمْرَ قَاسِي شِدَّتِهِ .
(٣) تَأْوَهُ : قَوْلُهُمْ عِنْدَ الشَّكَايَةِ (أَوْه) مِنْ كَذَا سَاكِنَةُ الْوَاوِ إِنَّمَا هُوَ تَوَجُّعٌ ، وَرَبَّمَا
قَلَبُوا الْوَاوَ أَلْفًا فَقَالُوا : (آه) مِنْ كَذَا ، وَرَبَّمَا شَدَّدُوا الْوَاوَ وَكَسَرُوهَا وَسَكَنُوا الْهَاءَ فَقَالُوا :
(أَوْه) ، وَرَبَّمَا حَذَفُوا مَعَ التَّشْدِيدِ الْهَاءَ فَقَالُوا : (أَوُّ) مِنْ كَذَا بِلا مَدٍّ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ :
(آوَه) بِالْمَدِّ وَالتَّشْدِيدِ ، وَفَتَحَ الْوَاوَ سَاكِنَةَ الْهَاءَ لِتَطْوِيلِ الصَّوْتِ بِالشَّكَايَةِ ، وَرَبَّمَا أَدْخَلُوا
فِيهِ التَّاءَ فَقَالُوا : (أَوْتَاهُ) يَمِدُ وَلَا يَمِدُ . وَقَدْ (أَوَّه) الرَّجُلَ (تَأْوِيهَاً) وَ (تَأْوَهُ تَأْوَاهَاً) إِذَا
قَالَ : (أَوَّه) وَالاسْمُ مِنْهُ (الْآهَةُ) بِالْمَدِّ وَ (آهٌ أَهَةٌ) تَوَجُّعٌ .
(٤) نَشُورٌ : خُرُوجٌ . (٥) الْبَانُ : نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ ، وَاحِدُهُ (بَانَةٌ) .
(٦) أَنْهَى : (الْإِنْهَاءُ) الْإِبْلَاحُ ، وَأَنْهَى إِلَيْهِ الْخَبْرَ أَيْ بَلَغَ .
(٧) الْأَقْحَوَانُ : (الْبَابُونَجُ) وَهُوَ نَبْتُ طَيْبِ الرِّيحِ حَوَالِيهِ وَرَقٌ أَيْضٌ وَوَسْطُهُ
أَصْفَرٌ ، وَجَمْعُهُ (أَقْحَى) وَ (أَقْحَاحٌ) .
(٨) حَفَّقَ : (حَفَّقَتِ) الرَّايَةُ اضْطَرَبَتْ ، وَكَذَا الْقَلْبُ وَالسَّرَابُ . وَ (حَفَّقَ)
يَحْفِقُ بِالْكَسْرِ (حَفَّقَانًا) بِفَتْحَيْنِ أَيْضًا .
(٩) ثَكَلَى : (الثُّكْلُ) فَقْدَانُ الْمَرْأَةِ وَلِدْهَا ، وَكَذَا (الثُّكْلُ) بِفَتْحَيْنِ ، وَامْرَأَةٌ
(تَأْكَلُ) وَ (تَكَلَى) وَ (ثَكَلَتْهُ) أُمُّهُ بِالْكَسْرِ (ثَكَلًا) وَ (أَثَكَلَهُ) اللَّهُ أُمَّهُ .
(١٠) الْعَنْدَلِيْبُ : (الْعَنْدَلُ) الْبَلْبَلُ ، (يُعَنْدِلُ) أَيْ يَصُوتُ ، وَ (الْعَنْدَلِيْبُ) طَائِرٌ
يَقَالُ لَهُ : الْهَزَائِرُ ، وَجَمْعُهُ (عَنَادِلُ) .

على عوده الرطيب ورنده^(١) ، وباح العاشق الكئيب بما يكابده من هوى زينبه وهنده ، وهام في فلوات^(٢) خلواته طرباً بما سمعه عن طيب نجده ، وفرّ هارباً^(٣) إلى من يعلم خفايا ما أبداه وما لم يُئديه ، فالعارف من شكر سوابغ^(٤) النعم ، واحتقر معادن الحكيم ، ولم يقنه من اللبن إلا بزبده ، وعلم أن الله تعالى ما أحدث حدثاً ، وأهمله عبثاً ، بل كل واقف عند حدّه ، باق على حفظ عهده ، مقرّ بتصديق وعيده ووعدّه ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾^(٥) .

أحمدته على كل حال وأسأله توفيق حمده ، وأصلى على سيدنا محمد رسوله وعبده ، الذي أنزل عليه في مُحكم كتابه العزيز مخبراً برفيع مجده ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ... ﴾^(٦) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعشيرته وجنده .

أما بعد :

فإني نظرتُ بعين التحقيق ، ورأيتُ بنور التصديق والتوفيق ، أن كل مخلوقٍ مقرّ بوجود الخالق ، وكل صامت في الحقيقة ناطق ، فاستعربت الإشارات ، واستقرأت العبارات ، فرأيت كلا ناطقاً بلسان حاله ولسان قائله ، لكنني رأيت لسان الحال أفصح من لسان القال ، وأصدق من كل مقال ، لأن لسان الخبر يحتمل التكذيب والتصديق ،

(١) رنده : (الزند) شجر طيب الرائحة من شجر البادية و ربما سماوا العود رندا .

(٢) فلوات : (الفلوات) المفاوز ، واحده (المفازة) .

(٣) فيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ... ﴾ سورة الذاريات :

الآية (٥٠) .

(٤) سَوَابِغ : شيء (سَابِغ) أى كامل وافٍ ، و(سَبَّغَتْ) النعمة اتسعت ،

و(أَسْبَغَ) الله عليه النعمة أتمها .

(٥) فيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ... وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ

لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ... ﴾ سورة الإسراء : الآية (٤٤) .

(٦) سورة الإسراء : الآية (١) .

ولسان الحال لا ينطق إلا بالتحقيق . فالناطق بلسان الحال مخاطب
لدوى الأحوال ، والناطق بلسان القال مقابل لأهل الصّحة
والاعتلال .

وقد وضعت كتابي هذا مترجماً عما استفدته من الحيوان برمزه ،
والجماد بغمزه ، وما خاطبني به الأزهار عن حالها ، والأطيّار عن
مقرّها وارتحالها ، وسميته : كشف الأسرار في حكم الطيور
والأزهار ، وجعلته موعظة لأهل الاعتبار ، وتذكرة لدوى الاستبصار ،
فاعتبروا يا أولى الأبصار^(١) ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾^(٢) .
فمن طالع مثالي ، وفهم ضرب أمثالي ، فذاك من أمثالي ،
ومن أعجم عليه إشكالي فليس من أشكالي ، فأقول واللّه لعبدّه
كالي^(٣) :

أخرجني الفكر يوماً لأنظر ما أوجدته أيدي القيد في الحدّث ،
وأحدثته القدرة البالغة للجدّ لا للعبث ، فانتهيت إلى روضة قد رقّ
أديمها^(٤) ، ونمى خصيب رطيبها ، وراق نسيمها ، ونمّ^(٥) طيبها ، وغنى
عندليبها ، وتحركت عيدانها ، وتمايلت أغصانها ، وتتمقت^(٦) أزهارها ،
وصوت^(٧) هزازها ، وتسلسلت^(٨) جداولها ، وتبلبلت بلابلها .
فقلت : يا لها من روضة ما أهنأها ، وخضرة ما أبهاها ، وحضرة

(١) فيه إشارة إلى قول الله تعالى في سورة الحشر ، الآية (٢) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٩٠) . (٣) كالي : حافظ .

(٤) أديمها : (الأديم) وجه الأرض . (٥) نمّ : (النمّ) نبت طيب الرائحة .

(٦) تتمقت : تزينت ، (تمقّه تسمية) زينه .

(٧) صوت : (الصوت) معروف ، و(صات) الشيء ، و(صوت) أيضاً

(تصويماً) ، و(الصّات) الصائح ، ورجل (صيّت) بتشديد الياء وكسرهما ،
و(صات) أيضاً أى شديد الصوت .

(٨) تسلسلت : شيء (سليست) أى سهل ولين .

ما أصفها ، فليتني استصحبت صديقاً حميماً يكون لطيب حضرتي
نديماً .

فناداني لسان الحال في الحال : أتريد نديماً أحسن مني ، أو مجيئاً
أفصح مني ؟ وليس شيء في حضرتك إلا وهو ناطق بلسان حاله ،
منادٍ على نفسه بدنوّ ارتحاله ، فاستمع له إن كنت من رجاله . وفي
ذلك أقول :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا (١)	له نَفْسٌ نَشْرَه (٢) صَاعِدُ
فَطَوْرًا يَفُوحٌ وَطَوْرًا يَنْوُحُ	كَمَا يَفْعَلُ الْفَاقِدُ الْوَاجِدُ
وَسَكَبُ الْغَمَامِ (٣) وَنَوْحُ الْحَمَامِ	إِذَا مَا شَكَى الْغُضْنَ الْمَايِدُ (٤)
وَضَوْءُ الْأَقَاحِ وَنُورُ الصَّبَاحِ	وَقَدْ هَزَّهُ الْبَارِقُ الرَّاعِدُ
وَوَافَى الرِّيبِغُ بِمَعْنَى بَدِيعِ	يُتْرَجَمُ عَنْ وَرْدِهِ الْوَارِدُ
وَكُلُّ لَأَجْلِكَ مُسْتَبْطُ	لَمَا فِيهِ نَفْعُكَ يَا جَاحِدُ
وَكُلُّ لَآلِئِهِ (٥) ذَاكِرُ	مُقِرُّ لَهُ شَاكِرُ حَامِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ	تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

* * *

(١) الصبا : من الشوق ، يقال منه : (تَصَبَّأى) ، و (الصَّبَا) ريح ومهبها المستوى
أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ومقابلتها ريح الدبور .

(٢) نشره : (النُّشْر) الرائحة الطيبة .

(٣) الغمام : (الغَمَام) السحاب ، الواحدة (غَمَامَةٌ) ، وقد (أَغَمَّت) السماء أى

تغيمت .

(٤) المايد : (ماد) الشيء تحرك ، و (مادت) الأغصان تمايلت ، و (ماد) الرجل

تبختر .

(٥) لآلئه : (الآلاء) النعم ، واحدها (ألَى) بالفتح وقد يكسر ، ويكتب بالباء

مثل : معى وأمعاء .

إِشَارَةُ النَّسِيمِ (*)

فأول ما سمعت همهمة (١) النسيم، يترنم (٢) بصوته الرخيم (٣)، يقول بلسان حاله، عن صريح لفظه ومقاله: أنا رسول كل محب إلى حبيبه، وحامل شكوى كل عليل إلى طبيبه، إن استودعت سرّاً أدبته كما استودعته، وإن حُمِلتُ نشرّاً رويته كما سمعته، وإن صحبتُ مصحوباً أتحدثُ فيه بلطافة إيناسي، ومازجته بصفاء أنفاسي، فإن طاب طبت، وإن خبت خبت، كما قال الشاعر:

الرَّاحُ (٤) كالرَّيحِ إِنْ مَرَّتْ عَلَى عَطْرِ طَابَتْ، وَتَخَبُّتُ إِنْ مَرَّتْ عَلَى الْجَيْفِ
ثم إنى إن اعتلت صحح بي العليل (٥)، وحيث حلت طاب بي
المقيل (٦)، وإن تنفست تنفس المشتاق، وإن نمت توسوست (٧) العشاق،

(*) قال أبو عبادة يصف رقة النسيم:

ورقٌ نَسِيمُ الرُّوضِ حَتَّى كَأَنَّما يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الأَجْبَةِ نُعْمَا
فَمَا يَعْجِسُ الرِّيحَ الَّتِي أَنْتَ خِلْهَا وَمَا يَمْنَعُ الأَوْتَارَ أَنْ تَتَرَنَّما

- (١) همهمة: (الهِهْمَمَةُ) ترديد الصوت في الصدر.
- (٢) يترنم (الرَّيْمُ) بفتحين: الصوت، وقد (رَيمَ)، و(تَرَّيمَ) إذا رجع صوته، و(التَّرْنِيمُ) مثله، و(تَرَّيمَ) الطائر في هديره، وترنم القوس عند الإنباض.
- (٣) الرخيم: كلام (رَخِيم) أى رقيق، و(التَّرْخِيمُ) التلين، وقيل: الحذف، ومنه ترخيم الاسم في النداء، وهو أن يحذف من آخره حرف أو أكثر.
- (٤) الراح: (رَاحَ) الشيء يَراحُه وبريخُه أى وجد ريحه، ومنه الحديث: «من قتل نفساً معاهدة لم يَرِخْ رائحة الجنة»، ومنه (تروح) الماء، أى أخذ ريح غيره لقربه منه.
- (٥) العليل: (العِلَّةُ) المرض، و(اعتلَّ) أى مرض فهو (عَلِيلٌ)، ويقال: لا (أعلِّك) الله، أى لا أصابك (بعلَّةٍ).
- (٦) المقيل: (القائلة) الظهيرة. يقال: أتانا عند القائلة، ويكون بمعنى (القَيْلُولَةِ) أيضاً، وهى النوم فى الظهيرة.
- (٧) توسوست: (الْوَسْوَسَةُ) حديث النفس. يقال: (وَسْوَسَتْ) إليه نفسه (وَسْوَسَتْ)، و(وَسْوَساً) بكسر الواو.

فأنا لئن الإعطاف^(١)، هيئن الانعطاف^(٢)، سريع الائتلاف، ولولا وجودى فى الوجود لما كان مخلوق موجود، يعرف لطفى ذور الألطاف فلا تظن اختلاف هوائى سبب إغوائى، بل أختلِف فى الفصول الأربع، لما هو أصلح لك وأنفع، فَأَهْبُ فى الربيع شمالاً^(٣) لألقح الأشجار، وأعدّل فصليّ الليل والنهار، وأهّب فى الصيف صبّاً لأنمى الثمار، وأصفى الأنهار، وأهّب فى الخريف جنوباً^(٤) فتأخذ كل شجرة حدّ طيبتها، وتستوفى حق تركيبها، وأهّب فى الشتاء دُبوراً^(٥) فأخذ عن كل شجرة حملها وأوراقها ويبقى أصلها. فأنا الذى تنمو بى الثمار، وتسمو بى الأزهار، وتتسلسل الأنهار، وتلقح بى الأشجار، وتروح بى الأسرار، وأبشرك فى الأسحار بقرب المزار، وفى ذلك أقول:

يَا طِيبَ مَا نَقَلَ النَّسِيمُ لِمَسْمَعِي

عَنْ طِيبِ ذِيَاكَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ

وَإِنِّي لِنَشْرِ مَا انْطَوَى مِنْ نَشْرِهِ

فَسَكِرْتُ مِنْ طِيبِ الشُّدَا^(٦) الْمَتَضَوِّعِ^(٧)

وَلرَبَّمَا أَعْتَلَّ النَّسِيمُ إِذَا بَدَتْ

أَنْفَاسَ شَوْقِي الْمَسْتَكِنِّ بِأَضْلَعِي

(١) الإعطاف: (عطفاً) الرجل جانباه من لدن رأسه إلى وركيه، وكذا عطفاً كل شيء

جانباه، وثن (عطفه) عنه، أى أعرض منه.

(٢) الانعطاف: (عطف) مال، وعطف عليه: أشفق.

(٣) شمالاً: (الشمال) الريح التى تهب من ناحية القطب، وجمعه (شمالات)، و(شمائل)

على غير قياس.

(٤) جنوباً: (الجنوب) الريح المقابلة للشمال.

(٥) دبوراً: (الدُّبُورُ) الريح التى تقابل الصّبَا.

(٦) الشُّدَا: حدة ذكاء الرائحة.

(٧) المتضوع: (ضاع) المسك تحرك فانتشرت رائحته، والمعنى الشدَا المتحرك المنتشر.

هَبَّ الصُّبَا سَحْرًا لثَبْرَدٍ عُلتِي
فَأثَارَ نَارٍ تَحْرَقِي وَتَوَجِّعِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهَا لِمَا سِرْتُ
مَرَّتْ عَلَيَّ تِلْكَ الرَّبَا الْأَرْبَعِ
فَتَحَمَّلْتُ نَشْرَ الصُّبَا فِي طَيِّهَا
فَسَكْرْتُ وَسَمِعْتُ مَالِمَ يُسْمَعِ
وَأَفْتُ تُبَشِّرُنِي بِلَيْلِي أَنَّهَا
فِي حُسْنِهَا سَفَرْتُ ^(١) فَلَمْ تَتَبَرَّقِعِ ^(٢)
وَجَلْتُ ^(٣) عَلَيَّ عُشَائِقِهَا فِي حَائِنِهَا
وَجْهًا تَمْنَعُ فِي جِمِّي مَتَمْنَعِ

* * *

(١) سَفَرْتُ : المرأة كشفت عن وجهها فهي (سَافِر) ، و (أَشْفَر) الصبح أضواء ، و (أَشْفَر)
وجهه حسناً أشرق .
(٢) تَتَبَرَّقِعُ : (التَّبَرُّقُع) بفتح القاف وضمها وهو للنساء من الأعراب ، وكذا (التَّبَرُّقُوع) ،
و (برقعته فتبرقع) أي ألبسه البرقع فلبسه .
(٣) وجلت : (الجَلِي) ضد الخفي ، و (الجلاء) الخروج ، و (تجلى) الشيء انكشف ،
و (انجلى) عنه انكشف .

إِشَارَةُ الْوَرْدِ (*)

ثم سمعت مجاوبة الأزاهير بألوانها ، والشحاريزُ بأفنانها (١) ، فرأيت
الورد يخبر عن طيب وُروده ، ويعترف بعَرَفِهِ (٢) عند شهوده ، ويقول : أنا
الضَّيف ، الوارد بين الشتاء ، والصيف ، أزور كما يزور الطَّيف ، فاغتنموا
وقتي فإن الوقت سيف . أعطيت نفس العاشق وكُسيت لون المعشوق ،
فأروح الناشق (٣) وأهيج المشوق (٤) ، فأنا الزائر وأنا المَزُور ، فمن طمع في
بقائي فإن ذلك زور . ثم من علامة الدهر المكذور ، والعيش المَمْرُور (٥) ؛
أننى حيث ما نبتُ رأيت الأشواك تزاخمني ، والأدغال تجاورنى ، فأنا بين
الأدغال مطروح ، وبنبال شوكى مجروح ، وهذا دمي يُرى عِنْدَمَا يلوح ،

(*) الورد : ينبت في جميع الأراضى ، ويتكاثر بالعقل ، وأشكاله كثيرة ، ويستعمل منه في
الطب الورد الأحمر الجاف ، وخواصه قابض . وهو أنواع ، أشهرها الورد البلدى أو الدمشقى الذى
يستقطر منه ماء يعرف بماء الورد ، ودهن يسمى عطر الورد ، وهو لذة للنظر والشم فى أعلى درجة ،
ويمكن تسميته بملك الأزهار ، والعطر المتصاعد منه ييسط المخ ، وشكلها مفرح للأعين كلونها أيضاً .
قال الشاعر :

أما ترى شَجَرَاتِ الْوَرْدِ مُظْهِرَةً لَنَا بَدَائِعَ قَدْ رُكِبْنَ فِي قُضْبِ
أوراقها حُمُرٌ أوساطها حُمَمٌ صُفْرٌ ومن حولها نُحْضِرُ من الشطْبِ
كأنهنَّ يواقيتُ يَطِيفُ بها زُمُرْدٌ وسطه شَدْرٌ من الدُّهْبِ

(١) أفنانها : (الفُنُّ) واحد (الفُنُون) وهى الأنواع ، و (الأفانين) الأساليب ، وهى أجناس
الكلام وطرقه ، ورجل (مُتَفَنِّن) أى ذو فنون .

(٢) عرفه : (العَرَفُ) الريح طيبة كانت أو منتنة ، والمقصود هنا الريح الطيبة .

(٣) الناشق : (اسْتَشَقَّ) الريح شمها ، و (نَشِيقٌ) منه ريحاً طيبة ، أى شم .

(٤) المشوق : (الشُّوقُ) ، و (الاشْتِيَاقُ) نزاع النفس إلى الشيء ، يقال : (شاقه) الشيء

فهو (شائق) وذلك (مَشُوقٌ) ، و (شَوْقُهُ فَتَشُوقٌ) أى هيج شوقه .

(٥) الممرور : أى المرير ، و (المرارة) بالفتح ضد الحلاوة ، وشيء (مَرٌّ) والجمع (أمرار) ،

ويقال : هذا الشيء (أَمْرٌ) من كذا .

فهذا حالى وأنا أَلطف الأوراد ، وأشرف الوُرَاد ، فمن ذا الذى سَلِمَ
الأنكاد^(١) ، ومن صَبَرَ على نَكَد الدنيا فقد بلغ المراد .

وبينما أنا أَرْفُلُ^(٢) فى حِلل النَّصَارَة ، إذ قَطَفْتنى يَدُ النَّظَّارَة^(٣) ،
فأسلمتنى من بين الأزاهير إلى ضَيْقِ القوارير^(٤) ، فيذاب جسدى ، ويُحرق
كبدى ، ويُمزَّق جلدى ، ويقطُر^(٥) دمعى النَّدى^(٦) ، ولا يُقام بأودى^(٧) ،
ولا يؤخذ بقودى^(٨) ، فجسدى فى حُرْقٍ ، وجفونى فى غَرْقٍ ، وكبدى فى
قلقٍ ، وقد جعلت ما رشح من عَرَقى شاهداً لما لقيت من حُرْقى ، فيتأسى
باحتراقى أهل الاحتراق ، ويتروَّح بنفسى ذوو الأشواق ، فأنا فإين عنهم
بأيامى ، باقٍ فيهم بمعناى^(٩) ، أهل المعرفة يتوقعون لقائى ، وأهل المحبَّة
يتمنون بقائى ، وفى ذلك أقول :

فإن غِبتَ جِسْماً كنتَ بِالرُّوحِ حاضراً فسيان قُرْبى إن تَأملتَ والبعدُ
فلله من أضْحى من النَّاسِ قائلاً : إنك ماءُ الورْدِ إذ ذهبَ الورْدُ

* * *

(١) الأنكاد : (نَكَد) عيشه اشتد ، ورجل (نَكَدَ) أى عَسَرَ ، وجمعه (أنكاد) ، و (مَنَّاكيدُ) ،
و (نَاكِدُه) وهما (يَتَنَّاكِدَان) أى يتعاسران ، و (الأنكُدُ) المشتموم .

(٢) أرفل : (رَفَلَ) فى ثيابه أطالها وجرها متبخترأ ، فهو (رَفِلٌ) ، وكذا (أَرْفَلُ) فى ثيابه .

(٣) النَّظَّارَة : مشدداً القوم ينظرون إلى الشئ .

(٤) القوارير : جمع (القارورة) وهى عادة مصنوعة من الزجاج .

(٥) يقطر : (تَقَطِير) الشئ إسالته قطرة قطرة .

(٦) النَّدى : المطر والبلل ، وجمعه (أنداء) وقد جمع على (أنديّة) وهو شاذ ، و (نَدَى)

الأرض (نَدَاوتُها) وبللها ، وأرض (نَدِيَّةٌ) ، وقيل : (النَّدى) ندى النهار ، و (نَدَى) الشئ ابتل

فهو (نَدِ) ، و (نُدُوَّةٌ) أيضاً ، و (أنداه) غيره ، ونداه (تَنديّة) . والمعنى المقصود : دمعى المبلل .

(٧) أودى : (أودَ) الشئ أعوجَّج ، و (تَأوَّد) تعوجَّج . ومن الكنايات : كسب ما يقيم به أوده .

(٨) قودى : (القَوْد) بفتح الحين القصاص ، و (أقاد) القاتل بالقتيل قتله به . يقال : أقاده

السلطان من أخيه ، و (استقاد) الحاكم سأله أن يقيد القاتل بالقتيل .

(٩) يقصد أنه بعد فنائه عنهم ، فسوف يبقى عندهم على شكل عطر .

إِشَارَةُ الْمُرْسِينَ

فلما سمع المرسين كلام الورد ، قال : لقد لعب التَّسِيم بِالْبَرْدِ ، وباح
النسيم بسرّه ، ونشر السَّحَاب عقود ظِلّه ، وتضوَّع^(١) البَهَار^(٢) بعزفه ،
وتبرج الربيع بقلائد نَحْرِهِ ، وخلع السرور عذاره ، وبسط على الروض
الأنيق أزهاره ، وغرَّد الهزار^(٣) ، ورد لعاشقة المزار ، فقم بنا نتفرَّج ، ونتيه
بحسنه وتبهرج ، فأَيَّام السرور تُخْتَلَس ، وأعمارها بأسرارها تُقْتَبَس .

فلما سمع الورد كلام المرسين قال له : يا أمير الرياحين ، من سلوك
الأمراء تأمل الصواب في الآراء ، تأمر باللُّهُو عبدك ، وتحض على العيب
جندك ، وأسير الرعيّة ، صاحب الفكرة والرؤيّة ، فلا يُعجبك حُسنك إذا
تماود غصنك ، ولا لحسن أوراقك ، وكرم أعراقتك ، فأَيَّام الشباب كزيارة
الأحباب ، سريعة الزوال ، دارسة^(٤) الأطلال ، كالطيف الطارق ، والخيال
المفارق ، يطرق ويُلَمّ ، وينقطع وصله فلا يتم ، وكذلك النبات ، أخضر
الجلباب ، مورك العود ، كالقباء^(٥) المزروود^(٦) ، إذ حصد من أصله ، وحكمت
الأيام بشتات شمله . والنبات مختلف الأجناس ، كاختلاف الحيوان من

(١) تضووع : (ضَاع) المسك تحرك فانتشرت رائحته ، و (تَضَوَّع) أيضاً ، و (تَضَيَّع) مثله .

(٢) البهّار : بالفتح العرار الذي يقال له : عين البقر ، وهو بهّار البر ، وهو نبت جعد له تفاحة

صفراء تنبت أيام الربيع يقال لها : العرارة .

(٣) الهزار : العنْدليب هو الهزار ، والجمع العنادل . يقال : (البلبل يُعندل) إذا صوت .

(٤) دارسة : (دَرَس) الرسم عفا ، و (دَرَسَتْه) الريح .

(٥) القَبَاء : الذي يلبس ، والجمع (الأقبية) ، ويقال : (تَقَبَّى) لبس القباء .

(٦) المزروود : (الزرد) بفتحيتين هو الدرع المزروودة ، و (الزرد) هو تداخل حلق الدرع بعضها

الناس : فمنها ما يصلح للنار ، كالحطب اليابس من الأشجار ، ومنها ما يُشتم
ويذبل ، ويُجوّل خطابه ويُصَل ، وتطرقة حوادث الأيام ، ويعود مَرَمِيًّا على
الأكوام ، ومنها ما تُؤكل ثماره ، وتحسن في النار آثاره . فإِيَّاكَ والاعتزاز
بزخارف هذه الدار ، إنما أنت فريسة الأسد الهمام ، وعليك إن نصحتك
والسلام ، وفي ذلك أقول :

يَا رَاقِدًا فِي اللَّيْلِ كَمْ ذَا تَنَامُ أَمَا تَخَافُ الْعُتْبَ بَيْنَ الْأَنَامِ
فَقُمْ لِمَوْلَاكَ وَكُنْ قَائِلًا فِي حِنْدِسٍ ^(١) اللَّيْلِ وَجُنْحٍ ^(٢) الظَّلَامِ
يَا رَبُّ بِالْهَادِي شَفِيعِ الْوَرَى الْمُضْطَفَى ذُخْرِي عَلَيْهِ السَّلَامُ
اهْدِي إِلَهِي مِنْكَ لِي تَوْبَةً تَمْحُو ذُنُوبِي وَالْخَطَأَ وَالْآثَامِ
فَقَدْ أَتَيْتُ الْآنَ مُسْتَغْفِرًا مُعْتَرِفًا بِالذَّنْبِ لِي وَالسَّلَامِ

* * *

(١) حِنْدِس : (الجِنْدِس) بكسر الحاء والذال : الليل الشديد الظلمة .

(٢) جُنْح : الليل بضم الجيم وكسرهما ، طائفة منه .

إِشَارَةُ الْبَانَ (*)

فلما نظرت الأشجار إلى طَرَبِ (١) البان بينها ، وتمائله دونها ، لأموه على كثرة تمايله ، وعَنَّفوه على عجبه بشمائله (٢) ، فتمايل هنالك البان ، وقال : لقد ظهر عُذرى عند الناس وبان ، فمن ذا يلومنى على تمايل أغصانى ، واهتزاز خرصانى (٣) ، وأنا الذى بسطت لى الرياض مطارفها (٤) ، وأظهرت لى الأزهار زخارفها ، وأهدت إلى نسمات الأشجار لطائفها . فإذا رأيت ساعة نشور (٥) أموات النبات قد اقتربت ، ورأيت الأرض وقد اهتزت وربت ، ونفخ فى صور رعدى ، ونُسَخ حكم وعيدى بإنجاز وعدى ، وحن وُرود وِرْدى ، فأنظر إلى الورد وقد وَرَدَ ، وإلى البرد وقد شَرَدَ ، وإلى الزهر وقد اتَّقَدَ ، وإلى الحب وقد انعقد ، وإلى الغصن اليابس وقد اكتسى بعد ما انجَرَدَ ، وإلى اختلاف المطاعم والمشارب وقد اتَّحَدَ ، فاعلم أن خالقها أَحَدٌ ، ومُنَوَّعها صَمَدٌ ، وموجودها بالقدرة قد انفَرَدَ ، فلا يفتقر إلى أحدٍ ، ولا يستغنى عنه أحدٌ ، ولا يشاركه فى ملكه أحدٌ ، فهو الأَحَدُ الصَّمَدُ

(*) شجر (البان) يسمو ويطول فى استواء مثل نبات (الأثل) وورقه أيضاً هَدَب كهدب الأثل ، وخشبه خوار رخو خفيف ، وهَدَبه (شكل ورقه) طويل أخضر شديد الخضرة ، وثمرته تشبه قرون اللوبياء وفيها حب كالحمص شكلاً ، يستخرج من لبه مادة زيتية مستحبة الطعم تعرف بدهن البان .

(١) طرب : (التُّطْرِب) فى الصوت مده وتحسينه ، و (الطَّرَب) خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور . وقد (طَرِبَ) بالكسر (طَرَباً) ، و (أطْرَبه) غيره ، و (تَطْرَبه) .

(٢) شمائله : (الشَّمَال) الخُلُق ، والجمع (الشَّمَائِل) .

(٣) خرصانى : (الخُرِص) بضم الخاء وكسرهما : الحلقة من الذهب والفضة ، وقيل : هو القُرط بحبة واحدة . ومن الأمثال : ما فى أذننا خرص ولا فى بيتها قُرص .

(٤) مطارفها : (الطرف) الناحية والطائفة من الشيء .

(٥) نشور : (نَشَرَ) الميت فهو (نَاشِرٌ) عاش بعد الموت ، ومنه يوم (النُّشور) ، و (أنشَره)

الله تعالى أحياءه . والمعنى : إذا رأيت ساعة عودة الحياة لأموات النبات ...

الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (١).

فهناك تمايلت قدودى طرباً بطيب شهودى ، وترنمت بلابل سُودى
على تحريك عُودى ، ثم تدركنى عنايةً مَعْبُودى ، فَأُفَكِّرُ فى عَدَمى ووجودى ،
وفوات مَقْصُودى ، فأنعطف إلى الورد فأخبره بورودى ، وأخلع عليه من
بُرودى ، وأستخبره عن مصدرى وَوُرُودى ؛ فقال لى : وجودك كوجودى ،
وَمَوْجُودُكَ كَمَوْجُودِى ، وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِى ، فأنت بخضرة قُدُودِكَ ،
وأنا بحمرة خُدُودِى ، فَهَلُمَّ نَجْعَلْ فى النارِ وَقُودَكَ ووقُودِى ، قبل ناز
خلودك وَخُلُودِى .

فقلت : إذا صحَّ الائتلاف ، ورضيت لنفسك بالتلاف ، فليس للخلان (٢)
من خلاف ، فنقطف على حُكْمِ الوفاق ، وَنُخْتَطِفُ من بين الرفاق ، وَتُصَعِّدُ
أنفاسنا بالاحتراق ، وَتُقَطِّرُ دُمُوعَنَا بالإشفاق ، فإذا فینا عن صور أشباحنا ،
وبقینا بمعانى أرواحنا ، فسیبان غدونا ورواحنا . وفى ذلك أقول :

وَرَدَ الْوَرْدُ بِشِيرًا بِالذِّى	فيه من لطف المعانى قد حوى
فَانْتَشَى الْبَانُ لَهُ مَنَعِطِفًا	لائماً (٣) نشر الذى فيه انطوى
مَالَ يَشْكُو أَهْيَفَ (٤) الْقَدَّ لَهُ	فرط ما يلقاه من حرّ الجوى (٥)
فَرثَاهُ الْوَرْدُ إِذْ قَالَ لَهُ	نحن خلان تساهمنا الهوى
فَأَنَا أَنْتَ كَمَا أَنْتَ أَنَا	نحن فى المعنى جميعاً بالسوى (٦)

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإخلاص : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

(٢) الخلان : (الخِلْ) الود والصدیق ، و (الخَلِيل) الصدیق ، والأُنثى (خَلِيلَةٌ) .

(٣) لائماً : (اللَّئِم) التقبيل .

(٤) أَهْيَفُ : (الْهَيْفُ) بفتحين ضم البطن والخاصرة ، ورجل (أَهْيَفُ) ، وامرأة (هَيْفَاءُ) ،

وقوم (هَيْفُ) ، وفرس (هَيْفَاءُ) أى ضامرة .

(٥) الْجَوَى : الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن .

(٦) بالسوى : يقصد أنهما فى هذا الأمر متساويان .

كم زُئِمْنَا فِي لَظَى (١) نَارِ فَلَآ
 وَلَكُمْ قَدْ فَرَّقَتْ أَيْدَى النَّوَى
 أَلَمْ تَرَ أَحْشَاؤُنَا قَدْ حُشِيَتْ
 وَبِهَا أَنْفَاسُنَا قَدْ صُعِدَتْ
 كُلُّنَا نَشْكُو بِشَجْوٍ (٤) وَاجِدٍ
 قَسَمًا حَقًّا يَمِينًا صَادِقًا
 إِنَّ فِي شَرْحِ غَرَامِي عِبْرَةً
 كُنْتُ بِالْأَمْسِ كَبْدِرٍ طَالِعٍ
 صَاحِبِي ضَلَّ وَلَا قَلْبِي غَوَى (٢)
 بَيْنَنَا وَالْغُصْنُ مِنَّا مَا ذَوَى (٣)
 بِلَهَيْبِ النَّارِ وَالْقَلْبُ اكْتَوَى
 مِثْلَ مَا قَدْ قَطَّرَتْ مِنَّا الْقَوَى
 وَلِكُلِّ فِي هَوَاهُ مَانَوَى
 بِالذَى قُدَّمَا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
 لَذَوَى الْقَلْبِ إِذَا الْقَلْبُ ارْعَوَى (٥)
 وَأَنَا الْيَوْمَ كَنَجْمٍ قَدْ هَوَى

* * *

(١) لظى : (اللُّظَى) النار ، و (التِّظَاء) النار التهابها ، و (تَلْظِيهَا) تَلْهَبُهَا .
 (٢) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة النجم الآية (٢) : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ .
 (٣) ذوى : (ذَوَى) البقل يَذْوَى بالكسر (ذُوِيًا) فهو (ذَاوٍ) أى ذابل ، وقال يونس : (ذَوَى)
 بكسر الواو لغة ، و (أذواه) الحر أذبله .
 (٤) شجو : (الشُّجْوُ) الهم والحزن ، ورجل (شَجٍ) أى حزين ، وامرأة (شَجِيَّة) .
 (٥) ارْعَوَى : عن القبيح ، أى كف .

إِشَارَةُ النَّرْجِسِ (*)

فأجابه النرجس من حاضره ، وهو ناظر لمناظره ، وقال : أنا رقيبُ القوم وشاهدُهم ، وسميرُهم ، ومنادهمهم ، وسيّد القومِ خادِمُهُمْ^(١) ، أُعَلِّمُ مَنْ لَهُ هِمَّةٌ كيف شروط الخدمة ، أَشُدُّ لِلخِدْمَةِ وَسْطِي ، وَأوثُقُ بالعزيمة شرطي ، وَلَا أَزَالُ واقفاً على قدم ، وتلك وظيفة من خَدَم . لَا أَجْلِسُ بين جُلَّاسِي ، وَلَا أرفعُ للنديم رأسي ، وَلَا أَمْنَعُ المَتَنَاولَ طيب أنفاسي ، وَلَا أنا لعهد من وصلني ناسي ، وَلَا قلبِي على من قطعني قاسي . ثم لا يفارق فمي شرب كاس ، وهو لي بصفوه كَاسِي . بُنِي على قضيب الزبرجد^(٢) أساسي ، وَجُعِلَ من العسجد^(٣) واللّجين^(٤) لباسي ، المِخْ تقصيري فأطرقُ إطراق الخَجَل ، وَأفكّرُ فيما إليه مصيري فأحدّقُ لهجوم الأجل ، والعجيب أني واقفٌ على التفرقة في مقام الجمع ، يُدرك معنى شداي حاسّة الشّم لا حاسّة السّمع ، وهذا معني لا خَطَرَ بقلبٍ ولا مرّ بسمع ، فإطراقِي اعترافاً بتقصيري ،

(*) النرجس : نبات من النباتات البصيلية المعمرة ، أزهاره منتظمة وهو يتكاثر من بصله ، ورائحته زكية ، قال الشاعر عبد الله بن طاهر :

ثَلَاثُ عُيُونٍ مِنَ النَّرْجِسِ عَلَيَّ قَائِمٍ أَخْضِرِ أَمْلَسِ
كِيَاقُوتِي بَيْنَ دُرِّ عَلا زَبْرَجْدَةً مُنِيَةَ الْأَنْفُسِ
يَذْكُرُنِي رِيحُهُنَّ الْحَبِيبِ بَ فَيُنْغِصُنِي لَذَّةَ الْمَجْلِسِ
وَأَحْسَنُ مَا فِي الوُجُوهِ العُيُورِ نْ وَأَشْبَهُ شَيْءٍ مِنَ النَّرْجِسِ

(١) رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى (آداب الصحبة) عن عقبه بن عامر . وفى سنده ضعف وانقطاع ، ورواه أبو نعيم فى (الأربعين الصوفية) عن أنس بن مالك ، والخطيب عن جرير بن عبد الله ، وانظر فى ذلك كشف الخفا (١٥١٥) ، وكنز العمال (١٧٥١٨) ، وتاريخ بغداد (١٨٧/١٠) .

(٢) الزُّبْرَجْدُ : نوع من الجواهر معروف . (٣) العَسْجَدُ : الذهب .

(٤) اللّجِينُ : بالضم الفضة أو هو اسم جامع للجواهر كله من الدر والياقوت .

وَإِطْلَاقِي لِأَحْدَاقِي ^(١) نَظْرًا فِيمَا إِلَيْهِ مَصِيرِي ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

إِنْ يَكُنْ مِنْ دُنَى أَجَلِي قُمْتُ مِنْ ذُلِّي عَلَى قَدَمِي
لَوْ بَدَلْتُ الرُّوحَ مُجْتَهِدًا كُنْتُ بِالتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفًا
إِنْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ سَابِقَةٌ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَادِمِينَ غَدًا
مُقْلَتِي مَا شَأْنُهَا أَبَدًا عَجَلًا فِي حَتْفِهِ وَكَذًا
وَقُلْتُ أَيْضًا :

تَأَمَّلْ فِي رِيَاضِ الرُّوضِ وَانظُرْ
عُيُونٍ مِنْ لَجِينِ شَاخِصَاتٍ ^(٤)
عَلَى قَضِيبِ الزَّبْرُجِدِ شَاهِدَاتٍ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا خَيْرُ الْبَرَايَا
إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكَ
بِأَحْدَاقٍ كَمَا الذَّهَبُ السَّبِيكَ
بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ
إِلَى الثَّقَلَيْنِ ^(٥) أَرْسَلَهُ الْمَلِيكَ

* * *

(١) أَحْدَاقِي : (حَدَقَةٌ) العَيْنُ سَوَادَهَا الْأَعْظَمُ ، وَالْجَمْعُ (حَدَقٌ) ، وَ (جِدَاقٌ) ، وَ (التَّحْدِيقُ) شِدَّةُ النَّظَرِ .

(٢) مَقْلِي : (الْمُقْلَةُ) شَحْمَةُ الْعَيْنِ الَّتِي تَجْمَعُ الْبَيَاضَ وَالسَّوَادَ .

(٣) وَجَلٌ : (الْوَجَلُ) الْخَوْفُ ، وَقَدْ (وَجَلَ) بِالْكَسْرِ يُوجَلُ (وَجَلًا) ، وَ (مَوْجَلًا) أَيْضًا بِفَتْحِ الْجِيمِ فِيهِمَا ، وَالْمَوْضِعُ (مَوْجَلٌ) بِالْكَسْرِ .

(٤) شَاخِصَاتٌ : (شَخْصٌ) بَصْرُهُ فَهُوَ (شَاخِصٌ) إِذَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَجَعَلَ لَا يَطْرَفُ .

(٥) الثَّقَلَيْنِ : الْإِنْسُ وَالْجَنُّ .

إِشَارَةُ اللَّيْنُوفَرِ (*)

فناداه اللينوفَرُ ، وحظه من السقم^(١) أوفى وأوفر ، وقال : أما تعتبر أيها
الحزينُ باصفرارى ، وأين من القضاء والقدر فرارى ، أنا الذى قد رضيت
بعارى ، و لست من العشق بِعارى ، الرياضُ قرارى ، والغياضُ^(٢) دارى ،
فإن كنت عاشقاً دارى ، فأهل الدارِ دارى . ها أنا أعشقُ صفاءَ الماءِ ،
فلا أفارقه فى الصباحِ والمساءِ ، ومن العجبِ أنى به ولهان ، وعليه لهفان ،
وإليه ظمآن ، وأنا معه حيثما كان ، فهل سمعتم بمثل هذا الشأن ، واقفٌ
فى الماءِ عطشان ، أفتحُ عينى بالنهارِ ، فيغار على من نظر الأغيار ، فإذا
جنَّ^(٣) ليلى أنزلنى عن رتبى وَحَطَّنَى ، وَأَخَذَنى إِلَيْهِ وَغَطَّنَى ، فأغوصُ فى
فكرى ، وأعودُ إلى خلوة ذكرى ، فتستغرق عينى فى مشاهدة قرّة عينى ،
فلا يعرف الجهول أبنى^(٤) ، ولا يفرق العذول بين من أحبه وبينى ، فحيثُ

(*) اللَّيْنُوفَرُ : ويقال : (نيلوفر) اسم معرب ، ومعناه ذو الأجنحة النيلية ، وعرف قديماً باسم
(بشنين) ، وفى مصر يعرف باسم عرائس النيل أو اللوتس . وهو نبات معمر عديم الساق ، يعيش
فى الأجام وعلى سطح المياه بطيئة الجريان ، جذوره قشرية زاحفة إسفنجية كثيرة التفرع بألياف
جذرية ، وأوراقه كبيرة مستديرة أو قلبية الشكل تسبح على سطح الماء ، وأزهاره كبيرة جميلة المنظر
بيضاء أو صفراء أو زرقاء أو وردية ، تخلف ثمراً لحمياً يشبه التفاح . قال الشاعر :

وَبِرْكَةٍ حُفَّتِ بِلَيْنُوفِرٍ أَلْوَانُهُ بِالْحَشَنِ مَنُغُوتَةٌ
نَهَارُهُ يَنْظُرُ مِنْ مُقْلَةٍ سَاجِيَةِ الْأَلْحَاطِ مَبْهُوتَةٌ
وَإِنْ بَدَا اللَّيْلُ فَأَجْفَانُهُ فِي لُجَّةِ الْبِرْكَةِ مَسْبُوتَةٌ
كَأَنَّمَا كُلُّ قَضِيْبٍ لَهُ يَحْمِلُ فِي أَغْلَاهُ يَأْقُوتَةٌ

(١) السقم : (السَّقام) المرض ، وكذا (السُّقم) و (السَّقْم) و (المِسقام) الكثير السقم .

(٢) الغياض : (الغَيْضة) بالفتح الأجمة ، وهى مغيض ماءٍ يجتمع فينبت فيه الشجر ، والجمع

(غياض) و (أغياض) .

(٣) جنَّ : عليه الليل ، و (جَنَّهُ) الليل يَجُنُّهُ بالضم (جُنُونًا) و (أَجَنَّهُ) مثله . والمعنى :

ستره الليل .

(٤) أبنى : (الأبن) هو حالة تعرض للشئ بسبب حصوله فى المكان .

ما مال بي هوائى ، لا أنظره إلا حدائى . إن ظمئت روائى ، وإن ميت وارانى ،
 فحياةٌ وجودى بحياتيه ، وبقاء شهودى بثباته ، وقيام ذاتى بذاته ، وصفاء
 صفاتى بصفاته ، فما بيتا بين ، ولولاه ما كنتُ أثراً بعد عين ، وفى ذلك
 أقول :

كَسَا الْحَبُّ جِسْمِي ثَوْبَ الضُّنَا (١) فَرُوحِي مِنْ شَوْقِهَا فِي عَنَا (٢)
 كَأَنَّ الْهَوَى إِذ رَمَى سَهْمَهُ لِقَلْبِي دُونَ الْوَرَى (٣) قَدْ عَنَا
 تَدَانِي فَأَذْنِي إِلَى مُهْجَتِي (٤) هَوَى كَلِمَا قَدْ دَنَا قَدْنَا
 يَقُولُ لِي الْحَبُّ : لَا تَأَلْفَنَّ سِوَانَا إِذَا كُنْتَ مِنْ إِيْفِنَا
 حَمَيْنَا الْوَصَالَ بِيضِ (٥) النَّصَالِ (٦) فَإِنْ تَلَقَّ سُمْرَ الْقَنَا (٧) تَلَقْنَا
 وَلَا تَجْزَعَنَّ بِحَدِّ النَّبَالِ (٨) وَمُرَّ النَّكَالِ (٩) فِيهِ الْهَنَا
 وَمَثَ مِثْلَ مَا مَاتَ أَهْلُ الْهَوَى وَذَابُوا أَشْتِيَاقًا فَنَالُوا الْمُنَى
 وَمَا ضَرُّهُمْ حِينَ نَادَيْتُهُمْ عَلَى طَوْرِ قَلْبِي أَنِّي أَنَا

* * *

- (١) الضنا : (الضنى) المرض . يقال : رجل (ضنى) و (ضن) ، ويقال : تركه ضنى وضنياً . و (أضناه) المرض أنقله .
 (٢) عَنَا : الذل والخضوع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ ... ﴾ [سورة طه : الآية ١١١] ، و (عَنَى) بالكسر (عَنَاء) أى تعب ونصب . و (عَنَاه) غيره (تَغْنِيَة) و (تَعْنَاه) أيضاً (فَتَعْنَى) و (الْمُعَانَاة) المقاساة ، يقال : (غَانَاه) و (تَعْنَاه) و (تَعْنَى) هو .
 (٣) الْوَرَى : الخلق .
 (٤) مُهْجَتِي : (الْمُهْجَة) الدم ، وقيل : دم القلب خاصة ، ويقال : خرجت (مُهْجَتِي) أى روحه .
 (٥) بِيضُ : (الْأَبْيَضُ) السيف ، وجمعه (بِيضٌ) .
 (٦) النَّصَالُ : (النَّضْلُ) نصل السهم والسيف والسكين والرمح ، والجمع (نُصُولٌ) ، و (نِصَالٌ) والمعنى : حد السيف .
 (٧) الْقَنَا : (الْقَنَاة) الرمح ، والجمع على (قَنَوَات) ، و (قَنَا) .
 (٨) النَّبَالُ : (النَّبْلُ) السهام العربية ، وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، وقد جمعوها على (نِبَالٌ) و (أَنْبَالٌ) و (النَّبَالُ) بالتشديد صاحب النبل ، و (النَّابِلُ) الذى يعمل النبل .
 (٩) النَّكَالُ : (النَّكْلُ) القيد ، وجمعه (أَنْكَالٌ) .

إِشَارَةُ الْبِنْفَسِجِ (*)

فَتَنْفَسُ الْبِنْفَسِجُ تَنْفَسَ الصُّعْدَا (١) ، وَقَالَ : طُوبَى (٢) لِمَنْ عَاشَ عَيْشَ السُّعْدَا ، وَمَاتَ مَوْتَ الشَّهْدَا ، إِلَى مَتَى أَمُوتَ بِالذُّبُولِ كَمَدَا (٣) ، وَأَكْتَسَى بِالنُّحُولِ (٤) أَثْوَابًا جُدَدًا ، أَفْتَنَى الْأَيَّامَ فَمَا أَطَالَتْ لِي أَمْدًا (٥) ، وَغَيَّرْتَنِي الْأَحْكَامُ فَمَا أَبَقْتُ لِي جِلْدًا وَلَا جِلْدًا (٦) ، فَمَا أَقْصَرَ مَا قَضَيْتُ عَيْشًا رَعْدًا ، وَمَا أَطْوَلَ مَا بَقَيْتُ يَابِسًا مَنْجَرَدًا ، وَجَمَلَةٌ فُضُولِي أَنَّنِي أُوْخِذُ أَيَّامَ حُضُولِي ، فَأُقَطَّعُ عَنْ أَصُولِي ، وَأُمنَعُ عَنْ وُضُولِي ، ثُمَّ يُتَّقَوَّى عَلَيَّ ضَعْفِي ، وَيُعَسِّفُ (٧) بِي مَعَ تَرْفِي وَلُطْفِي ، فَيَتَنَعَّمُ بِي مِنْ حَضْرَتِي ، وَيَجْتَلِبِنِي مِنْ

(*) البنفسج : ينبت في مواضع ظليلة حسنة ، وهو أنواع كثيرة منها : البنفسج العطري ، وهو نبات معمر ساقه زاحف ذو جذور هوائية وأوراقه ملساء أو وبرية بيضاء قلبية أو كلوية ، وأزهاره بنفسجية أو وردية أو بيضاء . وأنواع البنفسج المعتادة قوية الإنبات تصلح في جميع الأراضي الرطبة المتخلخلة المظللة قليلاً ، وتتكاثر بتفريد نباتاتها في فصل الربيع أو فصل الخريف . أحسن الأزمنة لزراعة بذوره الخريف ، وأزهاره عطرة الرائحة تصنع من خلاصاتها روائح زكية جداً . وتستعمل أوراق البنفسج في الطب شايًا للتلطيف .

قال المهلبى عن البنفسج :

بِنْفَسِجٍ بِذِكِّ الْمِسْكِ مَخْضُوضٌ مَفَى زَمَانِكَ إِذِ وَاقَاةُ تَنْغِيصُ
كَأَنَّمَا شَعَلُ الْكَبْرِيتِ مَنظَرُهُ أَوْ نَحْدُ أَغْيَدَ بِالتَّجْمِيشِ مَقْرُوضُ

- (١) الصُّعْدَا : (الصُّعْدَاءُ) بضم الصاد والمد : تنفس ممدود .
(٢) طُوبَى : فُعْلَى مِنَ الطَّيِّبِ ، قَلَبُوا الْيَاءَ وَوَأَوْ لَضَمِّ مَا قَبْلَهَا ، وَيُقَالُ : (طُوبَى) لَكَ ، وَ(طُوبَاكَ) أَيْضًا ، وَ(طُوبَى) اسْمُ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ .
(٣) كَمَدَا : (الْكَمْدُ) الْحَزْنُ الْمَكْتُومُ ، فَهُوَ (كَمِدٌ) وَ(كَمِيدٌ) .
(٤) التَّحْوِيلُ : الْهَزَالُ وَقَدْ (نَحَلُ) جَسْمَهُ وَ(نَحَلٌ) بِالْكَسْرِ (نُحُولًا) لُغَةٌ فِيهِ وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ .
(٥) أَمْدًا : (الْأَمْدُ) بِفَتْحَتَيْنِ : الْغَايَةُ .
(٦) جِلْدًا : (الْجِلْدُ) بِفَتْحَتَيْنِ : الصَّلَابَةُ . وَ(الْجِلَادَةُ) وَ(جِلْدًا) أَيْضًا وَ(مَجْلُودًا) فَهُوَ (جِلْدٌ) وَ(جَلِيدٌ) وَقَوْمٌ (جُلْدٌ) وَ(جُلْدَاءٌ) وَ(أَجْلَادٌ) ، وَأَمَّا (التَّجْلِدُ) فَهُوَ تَكْلُفُ الْجِلَادَةِ .
(٧) يَعْسِفُ : (الْعَسْفُ) الْأَخْذُ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ ، وَكَذَا (التَّعْسُفُ) وَ(الْإِعْتِسَافُ) وَ(الْعُسُوفُ) الظُّلُومُ .

نظرني ، ثم لم ألبث إلا يوماً ، أو بعض يوم ، حتى أسام بأنجس السَّوْم^(١) ،
 ويعادُ عليَّ بَعْدَ الثَّنَاءِ باللَّومِ ، فَأُمْسِي مِمَّا لَقِيْتُ مَمْعُوكاً^(٢) ، فإذا أَصْبَحْتُ
 بيد الحوادثِ مَعْرُوكاً^(٣) ، فحينئذ أعودُ يابساً ، ومن النَّضَارَةِ آيساً ،
 فيأخذني أهلُ المعاني ، ومن كان للحكمة يُعَانِي^(٤) ، فتفشي بي الأورام
 الفاشية^(٥) ، وتُليِّنُ بي الآلام القاسية ، وتلطف بي الطبائع العاتية ، ويدفعُ
 بي الأدواء العاديَّة ، والناس يتنعمون بيابسي ورطبي ، جاهلون بعظمِ خَطْبِي ،
 غافلون عمَّا أودعَ فيَّ من حِكْمِ ربي ، ولسان الحال يقول عني بلا ضجر ،
 فإني لمن تدبرني عبرةٌ لمن اعتبر ، وتذكرةٌ لمن اذَّكر ، وفيَّ مُزْدَجَرٌ لمن ازدجر ،
 حِكْمَةٌ بِالْغَةِ فما تُعْنِي النَّذْرُ^(٦) ، وفي ذلك أقول :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ الْبِنْفَسِجِ إِذْ غَدَا يَحْكِي بِأُورَاقٍ عَلَى أَغْصَانِهِ
 جَيْشاً طَوَارِقُهُ^(٧) الزَّبْرَجْدُ^(٨) رُصِّعَتْ أَحْجَارُ يَأْقُوتٍ عَلَى خِرْصَانِهِ^(٩)
 فَكَأَنَّمَا أَغْدَاؤُهُ بِجِلَادِهِ شَيْلَتْ رِعْوشُهُمْ عَلَى عِيدَانِهِ

* * *

(١) السوم : (الشومة) بالضم : العلامة تجعل على الشاة وغيرها ، ومنه الخيل (المُسْوَمَة)
 أي المُعلَّمة .

(٢) معروكاً : يقال : (تَمَعَّكْتَ) الدابة : أي تمرغت ، و (مَعَّكها) صاحبها (تَمَعِكاً) .
 (٣) معروكاً : (العريكة) الطبيعة ، ويقال : فلان لين العريكة ، أي سلس ، ويقال : لانت
 عريكته إذا انكسرت نخوته .

(٤) قصد المؤلف من ذلك إلى استعمال البنفسج في المعالجة والتداوي ، وكان الطب يعتبر من
 أقسام الحكمة .

(٥) الفاشية : المنتشرة ، والتفشيش : إزالة الانتفاخ .

(٦) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة القمر ، الآية (٥) .

(٧) طوارقه : (الطُّرَاق) المتكهنون و (الطُّوَارِق) المتكهنات ، قال لبيد :

لعمرك ما تدرى الطوارقُ بالحصي ولا زاجرات الطير ما الله صانع

(٨) الزَّبْرَجْدُ : حجر يشبه الزمرد وله ألوان كثيرة أشهرها الأخضر .

(٩) خرصانه : (الخِرْصَان) بضم الحاء وكسرهما : الحلقة من الذهب والفضة . و (الخِرْصَان)

بفتح الحاء : حرز ما على النخل من الرطب تمراً .

إِشَارَةُ الْمَنْشُورِ (*)

فتأوّه مَنْظُومُ المنثور ، بِنَفْثِهِ المصدُّور ، ورشفه الموتور^(١) ، وقال : ما هذا
الغرور بالعمر المبتور ، وما هذا السرور بالعيش المكذور ، أما يعتبر العاقل بغصني
المائل ، ولوني الحائل^(٢) ، وعمري الزائل ، وأيامي القلائل . غيّرتنى حوادثُ
الأيام ، فقَسَمْتُ لَوْنِي ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ ، فمِنِي الأَصْفَرُ ، كُسِي من السقم ثوباً
مُعْصِراً^(٣) ، ومِنِي الأَبْيَضُ اليَقْقُ^(٤) ، والأزرق الذي كاد بكمده يحترق .
فأما الأبيض ، فلا يَفُوحُ عِطْرُهُ ، ولا يُنْشِقُ^(٥) نَشْرُهُ ، ولا يَكْشِفُ سِتْرَهُ ،
وذلك لأنَّهُ كَتَمَ سِرَّهُ فَمَا بَاحَ ، وَأَخْفَى عِطْرَهُ فَمَا فَاحَ ، ومَلِكُ أَمْرِهِ
فَلَا تَلْعَبُ بِهِ الأَهْوَاءُ والرياح .

وأما الأصفر ، فخلع العذار^(٦) واستراح ، وتوشح من الشقم بوشاح^(٧) ،
وفاج بعطره في الغدو والرواح . ونشّر أنفاسه في المساء والصباح ، يقول
بلسانِ حاله ، وصدق مقاله :

إِنْ غَلَبَ وَجْدِي وَبُحْتُ بِمَا عِنْدِي فَلَيْسَ عَلَيَّ العَاشِقِ إِنْ بَاحَ جُنَاحُ

(*) المنثور : جنس نبات من الفصيلة الصليبية ، منه البرى ، ومنه ما يزرع ، ومنه أنواع : المنثور
الأصفر المألوف ويدعى الخيري الأصفر ، وهناك المنثور البستاني ، والمنثور الليلي ، والمنثور الشتوي .
وتختلف ألوانه من أحمر إلى بنفسجي إلى أبيض وأصفر ومرقط وموشح .

(١) الموتور : من قُتِلَ له قَتِيلٌ فلم يُدْرِكْ ثأْرَهُ . (٢) الحائل : (حال) لونه تغير واسود .

(٣) معصفر : (العَصْفَرُ) بضم العين والفاء : صبغ . وقد (عَصْفَرَ) الثوب (قَتَعَصْفَرَ) .

(٤) اليقق : أبيض (يَقَّقُ) أى شديد البياض ناصعه .

(٥) ينشق : (نَشَقَ) منه ريحاً طيبة أى شم . والمعنى : ولا يشم منه رائحة طيبة .

(٦) في المعجم الوسيط (٦.١١/٢) : اعتذر العمامة : أرخى لها عذبتين من خلف .

(٧) توشح ، بوشاح : (الوِشَاح) بالكسر : شىء ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجوهر

وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، و (تَوَشَّحَهَا فَتَوَشَّحَتْ) لبسته ، وربما قالوا : تَوَشَّحَ الرجل بثوبه

وسيفه .

لَا تُلْمِنِي إِنْ بَدَا مِنِّي افْتِضَاحٌ فَمَا عَلَيَّ مِنْ بَاحٍ فِي الْحَبِّ جُنَاحٌ
فَبِحَقِّ اللَّهِ يَا نَسِيمَ الصَّبَا (١) بَلِّغْ سَلَامِي أَهْلَ تِلْكَ الْبِطَاحِ (٢)
وَقُلْ لَهُمْ عَنِّي مَضَنَّاكُمْ يُقْلِقُهُ الْبَرْقُ وَمَرُّ الرِّيَّاحِ
مَا نَفَحَتْ مِنْ نَحْوِكُمْ نِسْمَةٌ إِلَّا وَسَّحَ الدَّمْعُ (٣) شَجْوًا وَسَاحَ
لَوْلَاكُمْ يَا أَهْلَ ذَاكَ الْجِمَى مَا رَاحَ قَلْبِي مُوثِقًا بِالْجِرَاحِ
أَسْرْتُمْ الْقَلْبَ فَيَكْفِيكُمْ لَا تَقْتُلُونِي قَدْ رَمَيْتُ السَّلَاحَ

وأما الأزرق منه ، فانطوى في جواه (٤) ، وصبر على أذاه ، وكنتم بالنهار
شذاه ، وقال : أنا لا أبوح بسرّي لعاشق ، ولا أفوح بنشرى لناشق ، فإذا
جنّ ليلي أبديت ما بي لأحبائي ، وشكوت مُصابي لأهل أوصابي (٥) ، فإذا
دارت الكؤوس ، شربتُ كاسي ، وإذا طابت النفوس صعدتُ أنفاسي
لِجُلَّاسِي ، فأنا لِجُلَّاسِي كَالخِجْلِ الْمُوَاسِي ، ومتى دُعيتُ إلى أناسي سعيت
على راسي ، وإلى اللَّهِ أَشْكُو مَا أُقَاسِي مِنَ الْقَلْبِ الْقَاسِي ، وما كتمتُ
بالنهار عطري ، واخترت في الليل هتك سترى وإلا لأن في الليل خَلْوَةٌ
العشاق ، وراحة كل مشتاق ، وَغَيْبُوتَةُ الرَّقِيبِ ، وحضرة الحبيب ، إذ قال : هل
من سائل جعلت أنفاسي إليه رسائل ، وَذُلِّي لَدَيْهِ وَسَائِلُ ، وفي ذلك أقول :
أَصْعَدُ أَنْفَاسَ شَوْقِي إِلَيْهِ وَأُوقِفُ طِيبَ ثَنَائِي عَلَيْهِ
وَمَآبِي إِلَى وَضْلِهِ شَافِعِ سِوَى حُسْنِ ظَنِّي وَذُلِّي لَدَيْهِ
وَقَلْبِي فِي سَخَطِهِ وَالرِّضَى سَوَاءٌ فَلَا حَالٍ عَنِ حَالَتَيْهِ

(١) نسيم الصبا : (النسيم) الريح الطيبة ، و (الصبا) ريح ومهبها المستوى أن تهب من
مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار .

(٢) البطاح : (الأبطح) مسيل واسع فيه دُقاق الحصى ، والجمع (الأباطيح) و (البَطَاحِ)
بالكسر ، و (البَطِيحَة) و (البَطَحَاء) كالأبطح ، ومنه بطحاء مكة .

(٣) وسح الدمع : (سَحَّ) الماء : صبه ، وسَحَّ الماء بنفسه : سال من فوق ، وكذا المطر والدمع .

(٤) جواه : (الجوى) الحرقه وشدة الوجد . وقد (جوى) فهو (جوى) .

(٥) أوصابي : (وَصَب) الشيء (يَصِب) بالكسر (وُضوباً) دام . والمعنى : أهل مداومتى .

إِشَارَةُ الْيَاسْمِينِ (*)

فصاح بفصاحته الياسمين ، وقال : أنا الياسمين ، وَيَحْكُمُ إِنِّي أَفُوحٌ
بوقاحة روحى بين الرياحين ، وأتردُّ على الآثار حيناً بعد حين ، أَجْلَبُ من
خَزَائِنِ الْعُيُوبِ ، ولا أَسْكُنُ إِلَّا فى كَمَافِينِ الْجُيُوبِ ، أبوح بسرِّ أينما
حضرت ، وأفوح بعطرى أينما خطرت ، لا أخفى على ذى ذوق ، ولا يُنكرنى
من له شوق ، فريحى على الرياحين يعلو ، وزهرى ونشرى على الأزاهير
ينمو ، لأنَّ من طاب معناه ، كان أطيّب وأذكى ، ومن صحَّ دعواه ، كان
أطهر وأذكى ، فمن أراد مراتب العلى فليعلُ بلطافة معانيه ، وليرقِّ فى درج
معاليه ، ولا يكن ممن قصَّر فى تدانيه ، فما يفوز بأمانيه . ثم إنَّ فى إشارة ،
وحقيقتها للعالمين بشارة ، فأول اسمى ياس وآخره مين ، فالياس شين والمين
زين ، فلما اجتمعا ياس ومين دلَّ على بينونة البين ، وبشرا بقرة العين ، وفى
ذلك أقول :

رَأَيْتُ الْقَالَ^(١) يُخْبِرُنِي بِخَبِيرٍ وَقَدْ أَهْدَى إِلَيَّ الْيَاسْمِينَ
قَالَ : لَا تَحْزَنْ فَإِنَّ الْحُزْنَ شَيْنٌ وَلَا تَيْأَسْ فَإِنَّ الْيَأْسَ مِينٌ

* * *

(*) الياسمين : نبات ذكى الرائحة ، شجيراتهِ متسلقة ، يعرف منها الآن أكثر من (٤٠)
نوعاً ، وأزهارها بيض أو صفر أو وردية ، ولذلك استنبت منها كثير فى البساتين ، وأنشد قبه الشاعر :

رَقَّةُ الْيَاسْمِينِ وَالْبَهْجَةُ النَّضُّ سَرَّةُ وَالْمَنْظَرُ الرَّقِيقُ الْأَنْيَقُ
كَسْوَةٌ مِنْ عَوَارِضِ عَيْقَاتِ أَنْفَاتِ بِهَا التَّعْيِيمُ شَرِيقُ

(١) القال : أن يكون الرجل مثلاً مريضاً فيسمع آخر يقول : يا سالم ، أو يكون طالباً لشيء

فيسمع آخر يقول : يا واجد ، يقال : (تَقَالَ) بكذا بالتحديد ، وفى الحديث : « كان النبي ﷺ يحب القال ويكره الطيرة » .

إِشَارَةُ الرِّيحَانِ (*)

فقال الريحان : قد آن حضوري ، وحن سروري ، فخذوني خديماً ،
واتخذوني نديماً ، فرطيب خُضْرَتِي يُخْبِرُ عن طيب خُضْرَتِي ، وكيف
تستريح روحٌ بغير ريحان ، أم كيف يطيب وقتٌ بغير ألحان ، أنا الموعود بي
في الجَنَانِ (١) ، الساري بأنفاسي إلى صميم الجَنَانِ (٢) ، فلوني أعدل الألوان ،
وكوني ألطف ما في الأَكْوَانِ (٣) ، فمن جَنَانِي يَسْتَنْشِقُ نشري المنطوي في
جَنَانِي ، فأنا أليف الأنهار ، وحليف الأزهار ، وجليس الشُّمَارِ (٤) ، وكاتم
الأسرار ، فإن سمعت في جنسي بالنمام ، فلا تكن له من اللُّوَامِ ، فإنه ما نَمَّ

(*) الريحان : اسم جامع للرياحين الطيبة الريح ، وفي القرآن الكريم قوله تعالى في سورة
الرحمن ، الآية (١٢) : ﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ .
والريحان في مصر يطلق على المرسين أعنى الآس ، وفي الشام يطلق على جنس من فصيلة
الشفويات ، ويضم عدة نباتات عطرة ، ويدعى في العربية (حَبَق) ، وفي لسان العلم (أوقيمن)
من كلمة يونانية الأصل . والحبق أنواع كثيرة منه : الحبق المعروف ، والحبق الصغير ، والحبق كبير
الزهر ، وحبق سرنديب .

قال الشاعر علي النيفر :

بين الأزاهرِ فَاخْتِ زَهْرَةُ الآسِ فَعَطَّرْتُ رَوْضَنَا مِنْهَا بِأَنْفَاسِ
يَيْضًا مُفْتَتِحَةً ، كَالأُذُنِ ، تَحْسَبُهَا أَمْسَتْ تَسْمَعُ لِلأَطْيَارِ وَالنَّاسِ
وَاللِّعْصَافِيرِ تَشْدُو ، وَهِيَ فِي طَرْبِ مِنْ فَوْقِ أَعْصَانِهَا لَحْنًا بِقُشَطَاسِ
حَتَّى عَدَا الرُّوضُ يَزْهُو فِي مَبَاهِجِهِ وَمَنْ بِهِ بَيْنَ إِنْعَاشِ وَإِنْسَاسِ
وَسَبَّحَ اللّٰهَ مَوْلَانَا ، وَقَدَّسَهُ كُلُّ بِإِحْسَاسِهِ أَوْ دُونَ إِحْسَاسِ

(١) الجَنَانِ : بالفتح القلب .

(٢) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة الواقعة الآية (٨٩) : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾ .

(٣) الأَكْوَانِ : جمع (الكَوْنِ) .

(٤) الشُّمَارِ : (السَّمَرِ) ، و (المُسَامِرَةُ) الحديث بالليل ، و (سَمْرًا) أيضاً بفتحتين فهو

(سَامِرٌ) و (السَّامِرُ) أيضاً (الشُّعَارِ) وهم القوم يسمرن .

إِلَّا عَلَى عَطْرِهِ ، وَلَا بَاحَ إِلَّا بِسْرِهِ ، وَلَا فَاحَ إِلَّا بِنَشْرِهِ ، بَاحَ بِسْرِهِ إِعْلَامًا ،
وَنَشْرَ بِنَشْرِهِ أَعْلَامًا ، فَلِذَلِكَ سَمِيَ نَمَّامًا ، فَلَيْسَ مِنْ نَمٍّ عَلَى نَفْسِهِ كَمَنْ نَمَّ
عَلَى غَيْرِهِ ، وَلَا مَنْ جَادَ بِخَيْرِهِ كَمَنْ عَادَ بِضَيْرِهِ ، فَقَدْ جَرَتْ الْأَحْكَامُ ،
وَجَفَّتِ الْأَقْلَامُ ، أَنْ النَّمَامَ مَذْمُومٌ بَيْنَ الْأَنَامِ وَالسَّلَامِ ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

سَائِلِي عَنْ خَفِيِّ سِرِّ غَرَامِي وَتَيْكَ^(١) اقْصِرْ وَخَلْنِي وَهَيَامِي
أَنَا مُسْتَوِدِعٌ لِسِرِّ حَبِيبِي كَيْفَ أُبْدِي وَلَسْتُ بِالنَّمَامِ

* * *

إِشَارَةُ الْأَقْحَوَانِ^(*)

فنادى على نفسه الأَقْحَوَانُ ، وهو بما كُسي من النضارة فرحان ، وقال :
قد آن ظهوري ، وحن سروري ، واعتدل فصل وجودي ، وطاب في
الحضرة شهودي ، وكيف لا يطيب وقتي ، وهذه الأنهار تجري من تحتي ،
وكيف لا أودي بالشكر زكاة حولي ، وقد تم لي نصابي من حولي ، وما ذاك
من قوتي ولا حولي ، فبياضى هو العَلْمُ المُعَلَّمُ ، واصفرارى هو السقم
المُبْرَمُ^(٢) ، واختلاف ألوانى هو المتشابه المَحْكَمُ ، فإن كنت للرموز تفهم ،

(١) وَتَيْكَ : كلمة مثل وَيْتٌ وَوَيْخٌ ، والكاف للخطاب .

(*) الْأَقْحَوَانُ : (أقحوان) اسم مفرد ، وجمعه (أقاح) ويسمى في المغرب شجيرة مريم ،
وفي مصر الكركاش ، وفي سوريا رجل الدجاجة ، وفي الموصل الكافور .
وهو نبات عشبي ساقه مستقيمة متفرعة ، وأوراقه مجنحة ، وأزهاره بيضاء أو صفراء ، تشبه
أزهار البابونج بشكلها ، والنبات بأجمعه ذو رائحة راتنجية قوية تنته مغشية ، وطعمه شديد المرارة .
قال الشاعر :

ومن لؤلؤ في الأقحوان منظم على نُكْتِ مُصْفَرَةٍ كالفرائد
يُذَكِّرُنَا زَيْئًا الْأَحْبَةَ كُلَّمَا تَنَفَّسَ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ بَارِدِ

وقال لقيط بن يعمر :

وَوَاضِحٌ أَشْنَبَ الْأَيْتَابِ ذِي أَشْرٍ كَالْأَقْحَوَانِ إِذَا مَا نُورُهُ لَمَعَا

(٢) المَبْرَمُ : (أبرم) الشيء أحكمه . والمعنى : المحكم .

فَقُصِّ إِلَيَّ تَعْنَمَ وَإِلَّا فَنَمَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي مَا تَمَّ فَحَقِيقٌ أَنْ يَقَامَ عَلَيْكَ
مَا تَمَّ ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

إِذَا لَمْ تُدْرِكِ الْمَعْنَى وَتَدْرِي
نَصْحَتُكَ مُشْفِقًا بِلِسَانِ حَالِي
أَمَا يَكْفِيكَ حَوْلِي كُلَّ حَوْلٍ
فَكَمْ وَافَيْتَنِي فِي جَمْعِ شَمْلٍ
حَمَامُ الْأَيْكَ يُسْعِدُنِي إِذَا مَا
يُتَوَخَّ عَلَيَّ مِنْ عَلِيمٍ بَانِي
وَأَنْتَ تَظُنُّهُ لَعِبًا وَلَهْوًا
حَقِيقًا أَنْ يُنَاحَ عَلَيْكَ إِذَا لَمْ

خَفَايَا مَا أَقُولُ فَلَا تُلْمَنِي
وَمَا يُنْبِئُكَ شَرُّ الْحَالِ عَنِّي
وَمَا نَالَتْهُ أَيْدِي الدَّهْرِ مِنِّي
زَمَانًا ثُمَّ جِئْتَ وَلَمْ تَجِدْنِي
شَكْوَتْ إِلَيْهِ مَا أَلْقَى يُجِبِّنِي
مَلَقَى لِلْفَنَاءِ بِكُلِّ فَنٍّ
فَتَمَرَّحُ بَيْنَ عِيدَانِي وَغُصْنِي
تُفَرِّقُ بَيْنَ أَفْرَاجِي وَحُزْنِي

* * *

إِشَارَةُ الْخُزَامِيِّ (*)

فلما رأى الخزامي ما يكابده الزهر قيئاً والتزاماً ، فمنها ما يضام ^(١) ،
فينثر بعد النظام ، وبالثلثن البخس يُسام ، فقال : مالي وللزحام ، ومالي
ومعاشرة اللُّثام ^(٢) ، أنا من بين الأزهار لا أجاور الأنهار ، ولا أسكن إلا على
شفا جرف هار ^(٣) ، بل أوافق الوحش في النِّفار ^(٤) ، وسكنى البوادي
والقفار ^(٥) ، أحب من الخلوات فسيح الفلوات ^(٦) ، ولا آسف على ما فات ،
فلا أزاحم في المحافل ، ولا أتحمّل مِنّة الزارع والكافل ، ولا تقطفني أيدي
الأسافل ، ولا أُحمّل إلى لاعب ولا هازل ، ولكنني بعيد عن المنازل ، تجدني
بأرض نجد ^(٧) نازل ، رضيت بالبرّ الفسيح ، وقنعت بالعرعر والشَّيخ ^(٨) ،
تعبث بنشوى الريح ، فتحملني إلى ذوى التقديس والتسييح ، فلا ينشق

- (٥) الخزامي : هو زهر يضرب به المثل في الطيب ، أوراق أشجاره ضيقة ، وأزهارها سنبلية
زرقاء ، وهو يتكاثر بالبذور ، ويزرع في حافات الحياض في بساتين الخضرة .
- (١) يضام : (الضُّيم) الظلم . وقد (ضَامَهُ) فهو (مَضِيم) و (استَضَامَهُ) فهو (مُسْتَضَام)
أى مظلوم . وقد (ضُمَّتْ) بضم الضاد : أى ظَلِمَتْ .
- (٢) اللُّثام : (اللُّيم) الدنى الأصل الشحيح النفس . وقد (لُوِّمَ) بالضم (لُوْماً) و (مَلَأَمَهُ)
أيضاً و (لَأَمَهُ) و (أَلَأَمَ إِلْأَمًا) إذا صنع ما يدعو الناس عليه لئماً .
- (٣) جرف هار : (الجُرُوف) بضم الراء وسكونها ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض ، ومنه
قوله تعالى : ﴿ عَلَى شَفَا جُرُوفِ هَارٍ ﴾ [التوبة : ١٠٩] . وقد (جَرَفْتَهُ) السيول (تَجْرِيفًا)
و (تَجْرِفْتَهُ) .
- (٤) النِّفار : (نَفَرْت) الدابة تَنْفِرُ بالكسر (نَفَارًا) ، وَتَنْفُرُ بالضم (نُفُورًا) و (نَفَر) الحاج من
مِنَى ، و (أَنْفَرَهُ) عن الشيء و (تَنْفِيرًا) و (اسْتَنْفَرَهُ) وكله بمعنى . و (الاشتنْفار) النفور أيضاً ،
ومنه (حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ) أى (نَافِرَةٌ) و (مُسْتَنْفِرَةٌ) بفتح الفاء : أى مذعورة .
- (٥) القفار : (القَفْر) مفازة لا نبات فيها ولا ماء ، والجمع (قِفَار) يقال : أرض (قَفْرٌ) ومفازة قَفْر .
- (٦) الفلوات : (الفَلَاةُ) المفازة ، والجمع (الفَلَا) و (الفَلَوَاتُ) .
- (٧) نجد : (النَّجْد) ما ارتفع من الأرض ، والجمع (نِجَاد) بالكسر . و (نجد) من بلاد
العرب ، وهو خلاف العُور ، فالغور تهامة وكل ما ارتفع عن تهامة إلى أرض العراق فهو نجد .
- (٨) الشَّيخ : نبت . و (العَشْيُوحاء) بالمد وسكون الشين : الأرض التي تنبت الشَّيخ .

نشرى ، إلا من له شوق صحيح ، وذوق صريح ، ومن هو على زهد المسيح ،
وصبر الذبيح^(١) ، فأنا رفيق السواح ، فى الغدو والرواح ، فأفوز بالأجور ،
وأسلم من حضور أهل الفجور ، ومن يقترب المعاصى بالجحور ، فلا أحضر
على منكر ، ولا أجلس عند من يشرب ويسكر ، فأنا الحر الذى لا يباع فى
الأسواق ، ولا ينادى على بالنفاق ، فى سوق النفاق ولا يحضرنى الفساق ،
ولا ينظرنى إلا من شمر عن ساق ، وركب على جواد العزيمة وساق ، فلورأيتنى
فى البوادي ، يهيم بى النسيم فى كل وادى ، أعطر النادى وأروح البادى ،
إن عرض بذكرى الحادى ، حن إلى كل رائح وغادى ، وفى ذلك أقول :

يُحَدِّثُنِي النَّسِيمُ عَنِ الْخُزَامِي	وَيُفَرِّقُنِي عَنِ الشَّيْخِ السَّلَامَا
فَهَيْمْتُ بِمَا فَهَيْمْتُ وَطَبْتُ وَجَدًا	فَمَا أَحْلَاهُ لِي لَوْ كَانَ دَامَا
وَتَسْرِي تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ سِرًّا	فَتَوْقُظُنِي وَقَدْ هَجَعُ ^(٢) النَّيَامَا
فَأَسْكِرُ مِنْ شَذَاهَا حِينَ هَبْتُ	كَأَنِّي قَدْ تَرَشَّفْتُ ^(٣) الْمَدَامَا
تُعَارِضُنِي بِأَنْفَاسِ مِرَاضٍ	كَأَنَّفَاسِي وَقَدْ حُشِيْتُ غَرَامَا
وَقَدْ عُرِفْتُ بِطِيبِ الْعُرْفِ لَمَّا	كَسَاهَا اللَّطْفُ أَخْلَاقًا كِرَامَا
أَهِيْمُ بِنَشْرهَا طَرِبًا وَسَكْرًا	فَيُبْدِي الْبَرَقُ مِنْ طَرَبِي ابْتِسَامَا
تَمُرُّ عَلَي الرِّيَاضِ رِيَاضٍ نَجْدٍ	فَتَنْعَطِفُ الْغُصُونُ لَهَا اخْتِشَامَا
وَيُقَلِّقُنِي حِمَامُ الْأَيْكِ ^(٤) نَوْحًا	وَتُدْكُرُنِي الْمَنَازِلَ وَالخِيَامَا
خِيَامٌ تَجْمَعُ الْأَحْبَابَ فِيهَا	وَفِيهَا يَبْلُغُ الْقَلْبُ الْمَرَامَا ^(٥)
وَتَجَلِي وَجْهَ مَنْ أَهْوَاهُ فِيهَا	يَبْهَجَةُ نَوْرِهِ يُجَلِّي الظُّلَامَا

* * *

- (١) الذبيح : يقصد سيدنا إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - .
(٢) هجع : (الهجوع) النوم ليلاً ، و (التهجاع) النوم الخفيفة ، ويقال : أتيت فلاناً بعد
(هجعة) أى بعد نومة خفيفة من الليل .
(٣) ترشفت : (الرشف) المص . وقد (رشفه) و (ارتشفه) أيضاً .
وفى المثل : الرشف أنفع : أى إذا (ترشفت) الماء قليلاً كان أسكن للعطش .
(٤) الأيكة : الشجر الكثير المتلف ، والواحدة (أيكة) .
(٥) المراما : (رام) الشيء طلبه ، و (العرام) المطلب .

إِشَارَةُ الشَّقِيقِ (*)

فتنفس الشقيق من بين ندمائه ، وهو مضربٌ بدمائه ، واستوى على ساقه ووثب ، وقال : يا لله العجب ما بال لوني باهى^(١) ، وحسنى زاهى ، وقدرى بين الرياحين واهى ، فلا أحدٌ بى يباهى ، ولا ناظرٌ إلى ساهى^(٢) ، فياليت شعرى ، ما الذى أسقط جأهى ، أرفل فى ثوبى القانى^(٣) ، وأنا مدحوض^(٤) عند من يلقانى ، فلا أنا فى الحضرة حاضر ، ولا يشار إلى الناظر ، ولا أصافح بالمناخر ، وما برحت فى عدد الرياحين آخر ، فأنا طريدٌ عن صحبى ، بعيد عن قربى ، وما أظن ذلك إلا من سواد قلبى ، ولا حول لى عن مراد ربى ، فلما رأيتُ باطنى محشواً بالغيوب ، وقلبى مسوداً بالذنوب ، علمت أن الله لا ينظر إلى الصُّور ، ولكن ينظر إلى القلوب ، فكان إعجابى بأثوابى سبباً لحجابى عن ثوابى ، فكنت كالرجل المنافق الذى حسنت سيرته ، وخبئت سريره ، وراق فى المنظر سيمته ، وقل فى المخبر

(*) الشقيق : الشَّقْرُ : شقائق النعمان ، الواحدة شقيرة .

والشقيق أو شقائق النعمان أو الشُّقَار : جنس نبات من الفصيلة الرنقولية ، فيه أنواع تتخذ للزينة أشهرها ما يدعوه الشهاى : شُقَار إكليلى وما يدعى باللاتينية (أنيمون كوروناريا) وأصل كلمة أنيمون من النعمان ، أى شقائق النعمان . زهرته كبيرة بتلاتها حمراء أو وردية وفى وسطها المذاكير بلون أزرق مائل إلى السواد .

قال الأخطيل الأهوازى فى الشقائق :

هذى الشقائقُ قد أبصرتْ حُمرتها فوقَ السَّوادِ على أعناقها الدُّلُ
كأنها دمةٌ قد غسَّلتْ كُحلاً جادت به وقفةٌ من وجنتى حَجَلِ

(١) باهى : (البهَاء) الحسن ، يقال : (بهى) الرجل بالكسر بهاء .

(٢) ساهى : (السَّهْو) الغفلة . وقد (سَهَا) عن الشيء ، فهو (سَاهٍ) و (سَهْوَانٌ) .

(٣) القانى : قنا لون الشيء قنواً : أى احمر ، فهو قانٍ .

(٤) مدحوض : دَحَضَ رجله : أزلقها .

قيمته ، فلو صلح قلبي ، لصلح أمرى ، ولو شاء ربى ، لأطاب بين الخلائق
 ذكرى ، وأفاح بين الأزهير عطرى ، لكن شذا الطيب لا يفوح ، إلا ممن
 يطيب ، وإشارات القبول لا تلوح ، إلا من رضى عنه الحبيب ، وحق لمن
 أصبح بهواه كئيب ، وعن معناه سليب ، أن يُندب عليه بالنعيب ، ويكى
 عليه بالدمع الصبيب ، عسى يرضى عليه الحبيب ، ويمنُّ عليه بالتوبة من
 قريب ، وفى ذلك أقول :

فلامى يزيد من حر دأى	لا تلمنى إذا شقت ردأى
وقضى لى مُعذِّبى بِشَقَائى	أنا قلبى قد سَوَّدَتْهُ ذُنُوبى
بِاخْتِيارى يَظُنُّ أنى مُرأى	مَنْ رَأى يَظُنُّ خَيراً وَلَكِنْ
وَالرِّزَايا ^(١) مَحْشُوءَةٌ بِحَشَائى	مَنْ رَأى مُحْسَنَ مَنظَرى وَلبَاسى
مِنْ جَوابٍ وَأَخْجَلْنى وَأَحْيائى	وَأَحْيائى إِذا سُئِلْتُ وَمَالي
لَرَأَيْتَ السُّرُورَ لِلأَعْداءِ	لَوْ كَشَفْتَ السُّرُورَ عَن سُوءِ حالى
عَامِرٌ أَزْتَجِىهِ يَوْمَ مَعادى	لَكِنَّ الأَمْرَ بَيْنَ قَلْبى وَرَبى

* * *

(١) الرزايا : (الرزء) و (الرزية) و (الرزيفة) بالمد ، و (الرزية) المصيبة ، والجمع (الرزايا) .

وقد (رزأته رزيفة) أى أصابته مُصيبة .

إِشَارَةُ السَّحَابِ (*)

فلما حسن العتاب ، وطاب فصل الخطاب ، سح دمع السحاب ،
فانبسط وساح في الرحاب^(١) ، وقال : سبحان الله ! أَيْتُكْرُ فُضْلِي عَلَيْكُمْ ،
وأنا الباعث طلّي^(٢) ووبلي^(٣) إليكم ، وهل أنتم إلا أطفال جوري ، ونسل
وجودي ، كم ملأت الأرض بُرّاً^(٤) يبرّي ، والبحر دُرّاً^(٥) يدري ، أنا

(*) السحاب : جمعه (سُحُب) والواحدة (سحابة) وجمعها (سحائب) وهو البخار المتصاعد من الأنهار والبحار وكل الرطوبات الأرضية ، فإن التبخر دائم في كل هذه المياه لا يفتقر أبداً ، وإنما لا نراه بأعيننا ، لأن البخار يكون ذائِباً في الجو بالحرارة الجوية ، ولو حدث في الجو برودة تكاثف بخار الماء المتصاعد وتكوّن ما يسمى بالضباب ، وهي الشابورة في لغة مصر فلا يرى الإنسان موطن قدمه ، هذه الشابورة هي السحاب بعينها ، لأن تلك الأبخرة متى صعدت للجو ولا مست البرودة تكاثفت على هذا النحو ورؤيت لنا كأنها جبال وما هي إلا شابورة عالية ، ومتى زادت البرودة الجوية عن درجة احتمال ذلك البخار ذابت أجزاءه ونزل قطعاً هو المطر .

ومن أسماء السحاب (الهَيْدَبُ) وهو المتدلى من السحاب كأنه هُذْب القطيفة .

قال عبيد بن الأبرص :

دَانٍ مَسْفٍ فَوَيْقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَاذُ يَلْمِسُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

وقال عمرو بن الأهتم :

تَأَلَّقَ فِي عَيْنٍ مِنَ الْمُزْنِ وَادِقٌ لَهُ هَيْدَبٌ دَانِي السَّحَابِ دَفُوقِ

(١) الرحاب : (الرَّحِيب) الواسع ، ومنه يقال : فلان رحيب الصدر ، و(رَحْبَتِ) الدار ، و(أَرْحَبْتُ) بمعنى اتسعت ، و(رَحْبَةٌ) المسجد بفتح الحاء : ساحته ، وجمعها (رَحَبٌ) و(رَحَبَات) .

(٢) طلّي : (الطَّلُّ) أضعف المطر ، وجمعه (طلال) نقول منه : (طُلَّتِ) الأرض ، و(طَلَّهَا) الندى ، فهي (مَطْلُولَةٌ) .

(٣) ووبلي : (الوَابِل) المطر الشديد . وقد (وَبَلَتْ) السماء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَخْذُوا

وَيْبَلًا ﴾ [المزل : ١٦] أي شديداً ، وضربت ويلاً وعذاباً ويلاً : أي شديد .

(٤) بُرّاً : (البِرُّ) جمع (بُرَّة) من القمح .

(٥) دُرّاً : (الدُّرَّة) اللؤلؤة ، والجمع (دُرٌّ) و(دُرَّات) و(دُرَر) .

مغذَى نُطْفٍ (١) البِذْرِ فِي بطنِ أمِّه ، ومستخرجه بالنمو من غُمَّةٍ غَمِّه (٣) ،
 فإذا تمخَّضت (٣) الحوامل بحملها ، واستُخرجت نبات النبات من حُفْرة
 رَمَلها ، جعلت حوالِها إلى ، وحضانتها لدي ، فلم يزل تُذِي دَرِي عليه
 دَرَاراً ، ومزيد يَرِي إليه مَدْرَاراً ، فإذا انقضت أَيام الرضاع ، ولم يبق إلا أَيام
 الفطام ، قطعت عنه دري ، فيصبح لأهل الدنيا حطاماً ، وكان بالأمس
 يحرسُ أن لا يُضامَ سروره في انسكاب عبراتي ، ونشوره في بعث قطراتي ،
 فالكلُّ في الحقيقة أطفالي ، لو اعترفوا بحقي لكانوا من الجوى أطفالي ، وقد
 سمع كل حَيٍّ في الحَيِّ ، وجعلنا من الماءِ كل شيءٍ حَيٍّ (٤) ، وفي ذلك
 أقول :

وَإِذَا نَظَرْتُ لِرِيعِهَا المِهْطَالِي
 يَبْكِي المَشُوقُ إِذَا البُرُوقُ تَبَسَّمَتْ
 فَتَنَفَّسَ الصُّبْعَاءُ مِنْ زَفْرَاتِهِ
 لَا تَعْدُلْنَهُ عَلَى جَوَاهِ وَلَا تَلْمُ
 واحذر مُقاومةَ الغرامِ فَإِنَّهُ
 أَبْكِي عَلَيْهِ بِدَمْعِي الهِطَالِ (٥)
 وَوَشَّتْ إِلَيْهِ نَسَائِمُ الأَوْصَالِ
 مُتَلَفِّتاً لِدَوَارِسِ (٦) الأَطْلَالِ
 هـ فَلَسْتُ عَنْهُ إِلَى المماتِ بِسَالِي
 فِيهِ اللَّيْبُ مُبْلَبِلُ البَلْبَالِ (٧)

* * *

- (١) نطف : (التُّطْفَةُ) الماء الصافي قل أو كثر ، والجمع (نِطَاف) بالكسر ، و (نَطْفَانٌ) الماء
 بفتح الطاء : سيلانه . وقد (نَطَفَ) يَنْطِيفُ بضم الطاء وكسرهما .
 (٢) غمة غمه : (الغمُّ) واحد (الغموم) تقول منه : (غَمِّه فَأَغْتَمَّ) ، وتقول : (غَمِّه) أي
 غطاه (فانغم) و (الغُمَّة) الكربة .
 (٣) تمخضت : (تَمَخَّضَ) اللبن و (ائْتَمَخَّضَ) أي تحرك في المخضة ، وكذا الولد إذا تحرك
 في بطن الحامل .
 (٤) فيه إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة
 الأنبياء : الآية (٣٠) .
 (٥) الهطال : (الهَطْلُ) تتابع المطر والدمع وسيلانه ، يقال : (هَطَلَتْ) السماء و (هَطَلَانَا)
 بفتح الطاء ، و (تَهَطَّلَا) أيضاً ، وسحابٌ (هَطِلٌ) ومطرٌ (هَطِلٌ) كثير الهطالان .
 (٦) دوارس : (دَرَسَ) الرسم عفا ، و (دَرَسَتْه) الريح ، و (دَرَسَ) الثوب أخلق .
 (٧) البلبال : الهم ووسواس الصدر .

إِشَارَاتُ الْأَطْيَارِ وَأَوَّلُهَا إِشَارَةُ الْهَزَارِ (*)

فبينما أنا مُصْبَغٌ إِلَى منادمة أزهارها ، على حافات أنهارها ، إذ صاحت
فصاحةً أطيَّارها من أوكارها ، فأول من صَوَّتَ الهزار ، ونادى على نفسه
بخلع العذار ، وباح بما عنده من الأسرار ، وقال : أنا العاشق الولَّهَان ، أنا
الهُائِمُ اللَّهْفَان ، أنا الواله الظَّمَان ، إذا رأيت فصل الربيع قد حان ،
ومنظره البديع قد آن ، تجدني في الرياض فرحان ، وعلى الأغصان أُرْدُدُ
الألحان ، أغنى فأطرب ، وأدير كأسى فأشرب ، فأنا من نشوتي سكران ،
ومن نغمتي طربان^(١) ، إذا زمزم النسيم ، وخفقت أوراق أغصان البان ،
أرقص على العيدان ، كأن الزهر والنهر لى عيدان ، وأنت تحسبني في ذلك
عابثاً ، لا والله ولست في يميني حائثاً ، إنما أنوح حزناً لا طرباً ، وأبوح ترحاً^(٢)
لا فرحاً ، لأنني لا أجد روضة إلا نُحِتَ عليها وعلى اضمحلَّالها^(٣) ،
ولا تُخْضِرُ إلا تلبلتُ على زوالها ، لأنني ما رأيت صفوة إلا وتكدَّرت ،
ولا عيشة حلوة إلا وتمرت ، وقد قرأت في محكم القرآن ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
فَانِ ﴾^(٤) فكيف لا أنوح على عيش يزول ، وحالي يحول ، ووصل عن قريب
مفصول ، فهذه الجمل من شرح حالي تغنى عن الفصول ، وفي ذلك أقول :
حَدِيثُ ذَاكَ الْجِمَى رَوْحِي وَرِيحَانِي فَلَا تَلْمَنِي إِذَا كَثُرَتْ أَلْحَانِي

(*) الهزار : طائر من رتبة الجواثم ، دقيق المنقار ، حسن التفريد .

(١) طربان : (التُّطْرِب) في الصوت مده وتحسينه . و (الطُّرْب) خفة تصيب الإنسان لشدة

حزن أو سرور . وقد (طَرِبَ) بالكسر (طَرَباً) و (أَطْرَبَهُ) غيره و (تَطْرَبَهُ) .

(٢) ترحاً : (التُّرْح) ضد الفرح .

(٣) اضمحلَّالها : ذهابها ، يقال : (أَضْمَحَلَّ الشَّيْءُ) ذهب .

(٤) سورة الرحمن : الآية (٢٦) .

رَوْضٌ بِهِ الرُّوحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جُمِعَا
 مِنْ أَيْضٍ يَتَّقِي أَوْ أَصْفَرَ عَبَقِي
 وَالزَّهْرُ وَالنَّهْرُ وَالْأَطْيَارُ تَرْقُصُ فِي
 وَالْأَنْسُ دَانٍ وَشَمْلُ الْوَضَلِ مُجْتَمِعٌ
 وَخُضْرَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
 أَوْ أَزْرَقَ بَرَقِي أَوْ أَحْمَرَ قَانِ
 مَيْدَانِ عِشْقِي عَلَى أَوْتَارِ عِيدَانِي
 هَذَا هُوَ الْعَيْشُ لَوْلَا أَنَّهُ فَانِي

* * *

إِشَارَةُ الْبَازِ (*)

فناداه الباز من ميدان البراز (١) : ويحك لقد صغر جرمك (٢) ، وكبر
 جُرمك ، وضعف قدرك ، ولقد أقلقت بتغريدك الطير ، وإطلاق لسانك

(*) الباز : من سباع الطير ، صالح للتمرن على الصيد ، وأجوده المنقط الأبيض ، وهو من أشد
 الحيوانات تكبراً وأضيقها ذرعاً ، وجمع البازي (بزة) .
 ومن عجائب المخلوقات : البازي من أشد الجوارح تكبراً وأضيقها خلقاً ، وقالوا : البازي
 لا يكون إلا أنثى ، وذكرها يكون من نوع آخر من الحدأة والشاهين ، ولهذا نرى الاختلاف في
 أشكال البازات وذلك بحسب الذكر ، فلو كان الغالب عليه بياض اللون ، فهو أحسن البزاة ،
 وأسهلها رياضة ، وأجرأها قلباً . والبازي لا يتخذ الوكر إلا على شجرة لها أغصان لدفع ألم الحر
 ودفع البرد ، وإذا أراد أن يبض بيني بيتاً مسقفاً لكلا يقع على فرخه المطر والثلج .
 حكم أكله : يحرم أكله بجميع أنواعه لنهيه ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب
 من الطيور . رواه مسلم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وبهذا قال أكثر
 أهل العلم . قال الصنوبري (أحمد بن محمد) يصف بازي أبي محمد بن أبي تمام :

بَازِيكَ هَذَا مِنْ رَفِيعِ الْبِزِّ
 ذُو مِئْسَرٍ أَقْتَى وَرُئِغٍ كَزِّ
 مُسْرَبَلٌ مِثْلَ حَيْبِكَ الْقَزِّ
 جَمُّ الْمَهَامِيزِ شَدِيدُ الْهَمَزِ
 بِأَسْفَلِ الْقَاعِ وَأَعْلَى النَّشْرِ
 أَبَ لَنَا بِالْقَبْحِ وَالْإِوَزِّ
 مَوْشُومَةُ الْأَهْبِ سِمَاتِ الْوَحْزِ
 مُخْتَلِيفِ أَعْمَارِهَا مُبْتَزِّ
 طِرَازُهُ شَاهِدُهُ فِي الطَّرِزِ
 وَمِخْلَبٍ لَمْ يَغْدُ إِشْفَى الْخَرِزِ
 أَوْ مِثْلَ جَزْعِ الْيَمَنِ الْأُرْزِيِّ
 لَمَّا لَزْنَا الطَّيْرَ بَعْدَ اللَّذِّ
 وَكُنَّا مُنْتَصِبٌ فِي الْعَرِزِ
 مِنْ جَيْلِ صَلْدٍ وَمَرْجٍ نَزِّ
 عَنْ لَنَا مِنْهُ سَحَابٌ رِجْزِ
 فَأَزَّتْ الْقِدْرُ أَشَدَّ الْأَزِّ

(١) البراز : بالكسر : ميدان المبارزة .

(٢) جرمك : (الجرم) بالكسر : الجسد ، وبضمتها : الخطأ والذنب .

يجلب عليك الضير ، وما يفضى بك إلى خير ، وما يهلك الإنسان ، إلا
عثرات اللسان ، فلولا لقلقة^(١) لِسَانِكَ ، ما غربت عن أوطانك ، وأخذت
من بين أقرانك ، وحبست في ضيق الأقفاص ، وشُدَّ عليك باب الخلاص ،
فهل ذلك إلا ممَّا جناه عليك لسانك ، وأفصح به بيانك ، فلو اهتمت
بشيمتي^(٢) ، واقتديت بسيرتي ، لبرئت من الملامة ، وعلمت أن الصمت
رفيق السلامة ، ألا تراني كيف ألفت السكوت ، ولزمت الصموت ، فكان
الصمت جمالي ، ولزوم الأدب كماله ، اقتنصت^(٣) من البادية قهراً ،
وجلبت إلى بلاد الغربية جبراً ، فلا بالسريرة بُحت ، ولا على العشيرة نُحت ،
بل أدبْتُ حين غُرِّبت ، وقُرِّبت حين جُرِّبت ، ومُنِحت حين امتحنت ، وقد
قيل فيما تقدم من الزمان عند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان ، نظر مؤدبي إلى
تخليطي الوقت ، فخاف عليَّ من المقت^(٤) ، فكم بصري بكمامة ، ولا تُمَدَّنْ
عَيْنَيْكَ^(٥) ، وعقد لساني بعقدة ، ولا تحركْ به لسانك^(٦) ، وقيد قدمي
بقيد ، ولا تمش في الأرض مَرِحاً^(٧) ، فأنا في وثاقي أتألم ، وممَّا أُلقي
لا أتكلَّم ، فلما كُمت وعُلمت ، وأدبْتُ وهُدبْتُ ، استخلصني مؤدبي إلى
إرسال الصيد ، وأزال عني ذلك القيد ، فأطلقت وأرسلت هناك بإشارة إنَّا
أرسلناك^(٨) ، فلما رُفعت الأكمة عن عيني ، وأصلحت ما بينه وبينى ، رأيت
الملك خدمني ، وأكفَّهُم تحت قدمي ، وفي ذلك أقول :

-
- (١) لقلقة : (اللُّقْلُقُ) اللسان ، وفي الحديث : « من وُقِيَ شَرُّ لِقْلِقِهِ » . قال أبو عبيد :
(اللُّقْلُقَةُ) شدة الصوت .
(٢) شيمتي : (الشَّيْمَةُ) الخلق .
(٣) اقتنصت : (القَانِصُ) و (القَنْيِصُ) و (القَنْاصُ) مفتوحاً مشدداً الصائد . و (القنيص)
أيضاً الصيد ، وكذا (القَنْصُ) بفتحين ، و (قَنْصَه) صاده ، و (اقتنصه) اصطاده .
(٤) المقت : (مَقَّتَه) أبغضه ، فهو (مَقِيَّتٌ) و (مَقْقُوتٌ) .
(٥) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة طه : الآية (١٣١) .
(٦) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة القيامة : الآية (١٦) .
(٧) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء : الآية (٣٧) ، وسورة لقمان : الآية (١٨) .
(٨) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : الآية (١١٩) .

أَمْسَكْتُ عَنْ فَضْلِ الْكَلَامِ لِإِنْسَانِي وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ الْعُلَا إِنْسَانِي (١)
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ قُرْبَ مَنِيَّتِي لَزِحَارِيفِ اللَّذَاتِ قَدْ أَنْسَانِي
 أُدِّبْتُ آدَابَ الْمُلُوكِ وَعَلِمْتُ رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعِ الْإِحْسَانِ
 أُرْسِلْتُ عَنْ كَفِّ الْمُلُوكِ مُجَرِّدًا وَجَعَلْتُ مَا أُنْغِيهِ نُصَبَ عِيَانِي
 حَتَّى ظَفَرْتُ وَنَلْتُ مَا أَمَلْتُهُ ثُمَّ اسْتَجَبْتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي
 هَذَا لَعَمْرِكَ وَسُمُّ كُلِّ مَكْلَفٍ بِوِظَائِفِ التَّسْلِيمِ وَالْإِيمَانِ

* * *

إِشَارَةُ الْحَمَامَةِ (*)

فبينما أناست مستغرق في لذة كلامه ، معتبر بحكمه وأحكامه ، إذ رأيت
 أمامه حمامة ، قد جعل طوق العبودية في عنقها علامة ، فقلت لها : حَدِّثِينِي
 عن شوقك وذوقك ، وأوضح لي ما حكمة تطويق طوقك ؟ فقالت : أنا
 المطوقة بطوق الأمانة ، المتقلدة تقليد الصيانة ، فأنا لحمل الأمانة قد نُدِبت ،

(١) إنساني : (إنسان العين) البؤبؤ .

(*) الحمامة : تطلق على الذكر والأنثى ، والجمع حمام وحمامات .

والحمام الذي يألف البيوت قسمان :

أحدهما : البرى ، وهو الذى يلزم البروج وما أشبه ذلك ، وهو كثير النفور وسمى برئاً لذلك .

والثانى : الأهلى ، وهو أنواع مختلفة وأشكال متباينة .

والحمامة من أشد الطيور ذكاء ، ومن طبعه أن يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ ، ويحمل
 الأخبار ويأتى بها من البلاد البعيدة ، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر ، ثم هو على
 ثبات عقله وقوة حفظه ونزوعه إلى وطنه ، حتى يجد فرصة فيطير إليه . وسباع الطير تطلبه أشد
 الطلب ، وخوفه من الشاهين أشد ، وهو أطير منه ، ولكنه يذعر منه ويعتره ما يعترى الحمار إذا رأى
 الأسد ، والشاة إذا رأت الذئب ، والفأرة إذا رأت الهر . ومن عجيب الطبيعة أنك ترى عجباً بين
 زوج الحمام من الملاعبة والغنج مثل ما يجرى بين الرجل والمرأة من القبل والملاعبة والمعانقة وغيرها .
 ويمتاز صنف الحمام عن غيره من الطيور أنه عندما يشرب الماء لا يرفع رأسه ، بل يغمر منقاره
 حتى المنخرين فينسحب الماء إلى الفم . ومن مناقبه حبه للناس وأنس الناس به . وقد أكثر الشعراء في
 وصف الحمام ، ومن ذلك ما قاله خلف المازنى في وصف حمامة :

مُطَوِّقَةٌ كَسَاهَا اللَّهُ طَوِّقًا لَمْ يَكُنْ ذَهَبًا

جُمُودُ الْعَيْنِ مَبْكَاهَا يَزِيدُ أَخَا الْهَوْلِ نَصَبًا =

وبالمحافظة عليها أمرت ، فإذا رأيت أهل الجناية نَدَبْتُ أحمل الرسائل ،
وأبلغ الوسائل ، وأجيب المسائل ، وأؤدي الأمانة ، ولا أسائل ، ولكني أخبرك
بخبري ، لتعلم حقيقة مخبري ، أخبرك بالقصة الصحيحة ، فإن الدين
النصيحة ، ما كل طائر أمين ، ولا كل حالف يصدق في اليمين ، ولا كل
سالك هو من أصحاب اليمين ، وإنما المخصوص بحمل الأمانة جنسى ،
وما أبرئ نفسي ، يحمل الأمانة منا من كان أبلق^(١) وأخضر ، لأنه أحسن
في الشكل والمنظر ، وأعدل في الخبر والمخبر ، ولا تكون الشيم العلية إلا
في الروح الزكية ، ولا شرف العزيمة إلا في النفس النفيسة المستقيمة ، فإن
اعتدال لون الطائر يدل على اعتدال تركيبه ، فيصلح حينئذ تقريبه وتأديبه ،
فلما باشرني مؤدبي بالتحريج ، وعزفنى الطريق بالتدريج ، أقول : حملوني
ما شئتم ، فأحمل كتب الأسرار ، ولطائف الأخبار ، فحينئذ أطيّر ، وأقطع
الهول المستطير ، خائفاً من جارح جانح ، حاذراً من سايح سارح ، جازعاً من
صائد ذابح ، أكابد الظماً في الهواجر ، وأطوى على الطوى^(٢) في المهاجر ،
فلو رأيت حبة برّ مع شدة جوعى ، عدلت عنها ، وذكرت ما جرى على
آدم منها ، فأرتفع خشية من كمين فحّ مدفون ، أو شرك يعوقنى عن تبليغ
الرسالة فأنقلب بصفقتى مغبوناً^(٣) ، فإذا أنا وصلت ، وفى مأمنى حصّلت
أديت ما حُمّلت ، وعملت بما عُلمت ، فهنالك طوّقت ، وبالبشارة خلّقت ،
ثم أنقلب إلى شكر الله على ما وُفّقت ، وفى ذلك أقول :

= مَفْجَعَةٌ بَكَتْ شَجْوًا فَنَبِتْ لِشَجْوِهَا وَصَبًا
نَزَفَ عَلَيْهِ إِمًّا مَالٌ مِنْ شَوْقٍ أَوْ انْتَصَبًا
وَمَا فَغَرْتُ فَمَا وَتَكَّتْ بِلَا دَمْعٍ لَهَا انْسَكَبًا

(١) أبلق : (البَلَق) سواد وبياض ، وكذا (البُلُقَة) بالضم ، يقال : فرس (أبلق) ، وفرس

(بَلَقَاء) .

(٢) الطوى : (طَوَاه) تَطْوِيهِ (طَيًّا فَانَطَوَى) و (الطَوَى) الجوع .

(٣) مغبون : (غَبَيْتَهُ) خدعه ، وقد (غَبَيْتَ) فهو (مَغْبُون) مخدوع .

أَحْبَابِي وَصَلْتُمْ أَوْ صَدَدْتُمْ فَعَبَدُكُمْ عَلَى حِفْظِ الْأَمَانَةِ
 مُقْسِمٌ لَا يُزَحْزِحُهُ عَدُولٌ وَلَا يُثْنِي مُعَنَّفُهُ عِنَانَهُ
 حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى جِبَالٌ أَنْ تَحْمِلَهَا وَزَانَهُ
 فَحِظْ الْعَهْدِ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَلَوْ أَوْدَى ^(١) هَوَاهُ بِهِ وَشَانَهُ ^(٢)

* * *

إِشَارَةُ الْخُطَّافِ (*)

فبينما نحن نتذاكر أوصاف الأشراف ، وأشرف الأوصاف ، إذ نظرت
 إلى خطّاف ، وهو بالبيت قد طاف ، فقلت له : مالي أراك للبيوت ملازم ،
 وعلى مؤانسة الإنس عازم ، فلو كنت في أمرك حازم ، لما فارقت أبناء جنسك ،
 ورضيت في البيوت بحبسك ، ثم إنك لا تنزل إلا في البيوت العامرة ،
 والمنازل التي هي بأهلها عامرة ، فقل لي : يا كثيف ^(٣) الطبع ، يا ثقیل
 السمع ، اسمع الآن قصة حالي ، وكيف عن الطيور ارتحالي ، أنا ما فارقت
 أمثالي ، وعاشرت غير أشكالي ، واستوطنت السقوف ، دون الشُّعاب ،
 والكهوف ، إلا لفضيلة الغربة ، ولزوماً لأدب الصحبة ، صحبت من ليس

(١) أَوْدَى : أهلك ، يقال : أودى الرجل أى هلك ، فهو (مُودٍ) .

(٢) شَانَهُ : من الشَّيْنِ الذى هو ضد الزَّيْنِ . والمعنى : أهلكه وشانه .

(*) الخطّاف : بالضم طائر أسود صغير كالعصفور ، جمعه خطاطيف ، ويسمى العصفور
 الأسود ، وزرور الهند ، وعصفور الجنة ، ومنه النوع المسمى بالسُنُونُو ، يألف البيوت العامرة ،
 ولا يفرخ في عش عتيق حتى يطينه بطين جديد ، ويزعج بعض الناس أنه هو الطير الأبايل الذى
 عذب الله تعالى به أصحاب القيل .

قال الشاعر :

خُطَّافَةٌ سَبَّحَتِ اللَّهَ بَعْجَمَةٌ يُفْهَمُ مَعْنَاهَا
 مَدِيدَةُ الصَّوْتِ إِذَا مَا انْتَهَتْ لَكِنهَا تُدْمَجُ مَبْدَاهَا
 كَقَارِيءٍ إِنْ تَأْتِيهِ وَقْفَةٌ مَدُّ بِهَا الصَّوْتِ وَجَلَّاهَا

(٣) كثيف : (الكثافة) الغلظ فهو (كثيف) و (تكائف) أيضاً .

منى لأكون غريباً ، وجاورت من هو خير منى لأضرب لى بينهم نصيباً ،
فأعيش عيش الغرباء ، وأفوز بصحبة الأدباء ، فالغريب مرحومٌ فى غربته ،
ملطوف به فى صحبته ، فقصدت المنازل ، غير مضرّاً بالنازل ، أبتنى بيتى
من حافات الأنهار ، وأكتسب قوتى من مباحات القفار ، فلست للجار
كمن جار ، ولا لأهل الدار كالغدار ، بل أحسن جوارى مع جارى ، أكثرُ
سوادهم ، ولا أستطعم زادهم ، فزهدى فيما فى أيديهم ، هو الذى حببني
إليهم ، ولو شاركتهم فى قوتهم ، ما بقيت معهم فى بيوتهم ، فأنا شريكهم
فى أبنيتهم ، لافى أغذيتهم ، مُزاحمهم فى أوقاتهم ، لافى أقواتهم ،
مكتسب من أخلاقهم ، لا من أرزاقهم ، منتهبٌ من جمالهم ، لا من مالهم ،
مقتبس من برهم ، راغبٌ فى حُبهم لافى حُبهم ، فزهدى بما فى أيديهم هو
الذى حببني فيهم ، مقتدياً فى ذلك بإشارة صاحب البشارة صلى الله عليه « ازهد فى
الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » ^(١) ، وفى
ذلك أقول :

كُنْ زَاهِداً فِيمَا حَوْتُهُ يَدُ الْوَرَى تُضْحَى إِلَى كُلِّ الْأَنَامِ حَبِيباً ،
أَوْ مَا تَرَى الْخُطَافَ حَرَمَ زَادَهُمْ فَقَدْ رَيْباً ^(٢) فِي الْحُجُورِ قَرِيباً ،
قُلْتُ : لِلَّهِ دَرَكٌ لَقَدْ عِشْتَ عَيْشاً سَعِيداً ، وَسِرْتَ سِيراً حَمِيداً ،
وَوُفِّقْتَ أَمراً رَشِيداً ، وَقُلْتَ قَوْلاً سَدِيداً ، وَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ مَزِيداً ،
فالعاقل يفهم ، والجاهل يندم .

* * *

(١) الحديث رواه ابن ماجه فى سننه (٤١٠٢) ، ورواه الحاكم فى المستدرک (٣١٣/٤) ،
وأورده العجلونى فى كشف الخفا (١٥٦/١) ، والزبيدى فى إتحاف السادة (٣٠٩/٨) ،
وأبونعيم فى الحلية (١٣٦/٧) .

(٢) ريباً : (ريبٌ) الرجل ابن امرأته من غيره ، والأنثى (ريبية) .

إِشَارَةُ الْبُومِ (*)

فناداه البوم وهو منفرد بالخراب مهموم ، أيها الصديق الصادق ، لا تكن بمقالة الخطاف واثق ، ولا لعقله موافق ، فإنه إن سلم من شُبّه زادهم ، فما سلم من شبهة فرحهم وأعيادهم ، وتكثير سوادهم ، وقد علمت أن من كثر سواد قوم فهو منهم ، ولو صحبهم ساعة صار مسئولاً عنهم ، وقد علمت أن مبدأ التفريط من آفة التخليط ، والخُلطة غلطة ، وأول السيل نقطة ، واعلم أن السلامة في العزلة ، فمن وليها لا يخاف عَزْلَه ، فهلاً استسنّ بسنتي ، وتأسى بوحدتي ، واعتزل المنازل والنازل ، وزهد في المآكل والآكل ، فلا أساكنهم في مساكنهم ، ولا أراحمهم في أماكنهم ، ولا أجالسهم في مجالسهم ، بل اخترت لنفسى الدائر من الجدران ، ورضيت بالخراب على العمران ، فسلمت من الأنكاد ، وأمنت من شرّ الحساد ، ولم أزل عن الأحباب فريداً ، وعن الأتراب بعيداً ، من كان مسكنه التراب ، كيف يساكن الأتراب ،

(*) البوم : جمعه أيّام للذكر والأنثى ، والهاء في بومة للواحد لا للتأنيث ، وقيل : بومة للمفرد ، وجمعه بوم . وهو طائر يسكن الخراب ، لا يبرز بالنهار لضعف بصره ، يحب الوحدة ، وتشاءم الناس به ، والحيات والأفاعى تهرب من صوته . قال الجاحظ : وأنواعها : الهامة (وهي العظيمة الرأس) والصدى ، والضُوع ، والبُوّهة ، والخَبَل ، والشبج . وبعض هذه الطيور يصيد الفأر والعصافير وصغار الحشرات ، وبعضها يصيد البعوض ، وهي من الطيور النافعة ككل الطيور الليلية ، وهي تبيض أربع بيضات ، وهي قوية السلطان بالليل لا يحتملها شيء من الطير ، فإذا رآها الطير بالنهار قَتَلَتْهَا وبتفن ريشها للعداوة التي بينهن وبينها .

وحكم أكله : يحرم أكل جميع أنواعها .

قال سويد بن أبي كامل عن البوم :

بَسَّ مَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابِنِي مَطْعَمٌ وَخَسَمٌ وَدَاءٌ يُدْرَعُ

لَمْ يَضُرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَخْسَدَنِي فَهُوَ يَزُقُّوْا مِثْلَ مَا يَزُقُّوْا الضُّوعُ

[يدرع : يكتسى ، يزقوا : يصيح ، الضوع : من أسماء البوم] .

ومن كان الليل والنهار يجريان من عمره ، فكيف لا يقنع بالخراب ، ومن علم أن الموت وراءه كيف يتعلق بالأسباب ، ومن علم أن العمر قصير ، وأن كل شيء إلى الفناء يصير ، قنع من الدنيا باليسير ، وبات على نخشن الحصير ، وأفطر على قرص الشعير ، وعلم أن الخلق في المصير ، فريق في الجنة ، وفريق في السَّعير^(١) .

أما أنا فنظرت إلى الدنيا وذهابها ، وإلى الآخرة واقترابها ، وإلى القيامة وحسابها ، وإلى النفس واكتسابها ، فشغلني التفكير في حالي عن منزلي الخالي ، وأذهلني ما علني ومالي ، عن أهلي ومالي ، وأهمني صحتي واعتلالتي عن القصور العوالي ، فجلا^(٢) اليقين عن بصر بصيرتي كل شبهة ، فعلمت أن لا فرح يدوم ولا نزهة ، وأن كل شيء هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ^(٣) ، فعرفت من هو ، وما عرفت ما هو ، فحيث كنت لا أرى إِلَّا هو ، وإذا نطقت فلا أقول إِلَّا هو ، لأنه لَا إِلَهَ إِلَّا هو^(٤) ، وفي ذلك أقول :

أَفَرَدَنِي عَنْهُمْ هَوَاهُ وَلَيْسَ لِي مَقْصِدٌ سِوَاهُ
 أَهِيْمُ وَخَدِي بِصِدْقِ وَجْدِي وَحُسْنِ قَصْدِي عَسَى أَرَاهُ
 أَنْكَرَ صَحْبِي غَرَامَ قَلْبِي وَمَا دَرَوُا بِالَّذِي دَهَاهُ^(٥)
 أَحْبَبْتُ مَوْلِي إِذَا تَجَلَّى يَقْتَبِسُ الْبَدْرُ مِنْ سَنَاهُ
 تَحْيِّرَ النَّاسُ فِيهِ شَوْقًا وَجُمْلَةَ النَّاسِ فِيهِ تَاهُ
 وَلَا أَسْمِيهِ غَيْرَ أَنِّي إِنَّ غَلَبَ الْوَجْدُ قُلْتُ : يَا هُوَ

فَأَخَذْتُ مَوْعِظَتَهُ بِمَجَامِعِ قَلْبِي ، وقلت : هذا رحمة من ربي ، وَخَلَعْتُ عَنِّي مَلَابِسَ عُجْبِي ، إِلَّا أَنَّ الْهَوَى يَقُولُ : عُجْبِي^(٦) .

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة الشورى ، الآية (٧) . (٢) جلا : أى أوضح وكشف .

(٣) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة القصص ، الآية (٨٨) : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ .

(٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة ، الآية (١٦٣) .

(٥) دَهَاهُ : أصابه ، يقال : ما (دَهَاكَ) أى ما أصابك .

(٦) عُجْبِي : عاج فلان بالمكان : أقام فيه .

إِشَارَةُ الطَّاوُوسِ (*)

ثم التفتت ، فرأيت طاووساً ، قد شرب من خمرة العُجْب كؤوساً ، قد زخرف بملابس التلييس ، وهو الذى عاد عليه شؤم إبليس ، قد زين ريشه ألوان ، وفنن عيشه أفنان ، لا يأوى إلا إلى الجِنان ، والله يعلم بما فى الجِنان ، فقلت له : ويحك ، كم بينك وبين البوم من الحظ المقسوم ، فأنت أيها العائى (١) نظرت إلى الصور ، وهو نظر إلى المعانى ، فأنت تفرح بالفانى ، وتغتر بالأمانى ، فقال لى : يا عانى ، يا من بالشماتة نَعانى (٢) ، لا تظهر لى الشماتة ، ولا تذكر الحزين ما فاته ، فقد قيل فى الخبر : « ارحموا عزيز قوم

(*) الطاووس : طائر هندی حسن الريش والهيئة ، وله ذيل طويل ، كثير الألوان ينشره وراءه على صورة جميلة ، والذكر منه فى غاية الحسن ، له فى رأسه ريش خضر تتخللها ألوان أخرى زاهية ، وفى ذنبه ريش أخضر فيه عيون ملونة ، وليس للأُنثى شئ من ذلك . كنيته عند العرب أبو الحسن وأبو الوشى ، وهو فى الطير كالفرس فى الدواب عزاً وحسناً ، وفى طبعه العفة ، وحب الزهو بنفسه ، والخيلاء والإعجاب بريشه ، وعقده لذنبه لا سيما إذا كانت الأُنثى ناظرة إليه ، وإذا نظر إلى ساقيه وجم لذلك وانكسر نشاطه وزهده ، فصاح صياح العويل ، وذلك لدقة ساقيه وتواء عرقوبيه ، والأُنثى تبيض بعد أن يمضى لها من العمر ثلاث سنين .

وقد أحسن الشاعر فى وصفه حيث قال :

طيرٌ على أشكاله رئيسٌ	سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّاوُوسُ
كأنما يخلو به التعریش	كأنه فى نقشه عروسٌ
فى الریش منه زُكِبَتْ فُلُوسٌ	ديباجةٌ تُنَشَّرُ أو سدوسٌ
فى الرأس منه شَجَرٌ مَعْرُوسٌ	تُشْرِقُ مِنْ دَارَاتِهَا شُمُوسٌ
أو زَهْرٌ مِنْ حُزْمٍ يَثُوسٌ	كأنه بِنَفْسِهِ يَمِيسُ

وتضرب الأمثال بالطاووس منها : أزهى من طاووس ، وأحسن من طاووس .

(١) العائى : الأسير ، يقال : (عَتَا) فلان فيهم أسيراً ، أى أقام على إيساره فهو (عَائِي) وقوم

(عَتَاة) ونسوة (عَوَان) .

(٢) نعانى : نعى على فلان ذنوبه : أظهرها وشهرها .

ذَلَّ ، وغنى قوم افتقر ^(١) ، أين كنت يا مسكين ، وأنا فى الجنان أطوف
 بين الظلال والقطوف ، أدورُ دورَها ، وأزور حورها ^(٢) ، وأسكن قصورها ،
 شرابى التسبيح ، وطعامى التقديس ، حتى ساق لى القدر إبليس ، فألبسنى
 ملابس التلبيس ، حتى عوّضنى بالخصيس ^(٣) عن النفيس ، ولقد كنت لمراده
 كاره ، لكن القضاء والقدر يوقع فى المكاره ، وينفّر الطير عن أوكاره ، ولقد
 كان إبليس يرفل فى حُلل ^(٤) حُبّه ، ونخلع قربه ، فما تركه شؤم ^(٥) رأيه ،
 حتى تاه ^(٦) على آدم بعُجبه ، فأوقعنى فى الخطيئة ، وما أطلعنى على ماله فى
 الطويّة ^(٧) ، غير أنى كُنت له دلاله ^(٨) ، وكانت الحيّة فى دخوله الجنة
 محتاله ، فأخرجت معهم من دار العزّ إلى دار الهوان والإذلال ^(٩) ، وقيل :
 هذا أُجْرَةُ الدّلال ، وهذا جزء من عاشر الأندال ^(١٠) ، ثم أبقيت على زينة
 ريشى ، أتذكر به ما كان من صفو عيشى ، فيزيدنى ذلك تحرقاً وتشوّقاً ، ثم
 جُعِلْتُ على علامة السخط فى ساقى ، أنظرها بإحداقى ^(١١) ، وينادى على

-
- (١) أورده الزبيدى فى الإتحاف (٥٥٩/٨) ، وكذا على القارى فى الأسرار المرفوعة (٤٦٣) .
 (٢) حورها : يقصد الحور العين .
 (٣) الخسيس : الدنى . وقد (نَحَسَ) يَحْسُ بِالْفَتْحِ (نِحْسَةً) و (خَسَّاسَةً) و (اسْتَحْسَهُ)
 عده خسيساً .
 (٤) حلل : (الحُلل) برود اليمن ، و (الحُلَّة) إزارٌ ورداء ولا تسمى حُلَّة حتى تكون ثوبين .
 (٥) شؤم : (الشُّؤم) ضد اليُمن ، يقال : رجل (مَشُومٌ) و (مَشُومٌ) ، ويقال : ما أشأمُ
 فلاناً ، والعامّة تقول : ما أَيْشَمَهُ . وقد (تَشَاءَمَ) به بالمد .
 (٦) تاه : يَتِيه (تيهاً) تكبر .
 (٧) الطويّة : الضمير .
 (٨) دلاله : (الدَّلِيل) ما يُسْتَدَلُّ به ، والدليل الدالُّ أيضاً . وقد (دَلَّه) على الطريق يَدُلُّهُ بالضم
 (دِلَالَةً) بفتح الدال وكسرهما .
 (٩) دار الهوان والإذلال : يقصد دار الدنيا التى نعيش فيها .
 (١٠) الأندال : (النَّدَالَة) السفالة . وقد (نَدَّلَ) فهو (نَدَّلٌ) و (نَدِيلٌ) أى خسيس .
 (١١) إحداقى : (حَدَقَ) العين سوادها الأعظم ، والجمع (حَدَقٌ) و (حِدَاقٌ) و (التحديق)
 شدة النظر .

بنقض ميثاقي ، ثم إني ألفت من البقاع بقعة ، تشاكل ما خرجت منه ،
 وطردت بما فعلت عنه ، فأتذكر بالبساتين مربع^(١) ربوعى^(٢) ، وأجرى عليه
 سواكب دموعى ، وألوم نفسى التى كانت سبباً لوقوعى ، وأقول كلما
 ذكرت تفریق جموعى :

يَا دَارُ هَلْ يُقْضَى لَنَا بِرُجُوعِ وَيَعُودُ لِي يَا عَيْنُ طِيبِ هُجُوعِ
 يَا سَادَةَ كَادَ الْمَشُوقِ بِذِكْرِهِ يَقْضِي أَسَاءَ فِي سَاعَةِ التَّوَدِّيعِ
 قَلْبِي لِيَوْمِ فِرَاقِكُمْ مُتَوَجِّعِ وَارْحَمْتَاهُ لِقَلْبِي الْمَوْجُوعِ
 فَفَرَّقْتُمْ مَا بَيْنَ عَيْنِي وَالْكَرَى^(٣) وَوَصَلْتُمْ بَيْنَ الْأَسَى^(٤) وَضُلُوعِ
 جِسْمِي مَعِي وَالْقَلْبُ بَيْنَ خِيَامِكُمْ مَا ضُرُّكُمْ لَوْ كَانَ ثُمَّ جَمِيعِ
 وَإِذَا ذَكَرْتُ لِيَالِيَا سَلَفْتُ لَنَا فِي وَصْلِ أَحْبَابِي بَيْنَ ظِلِّ رُبُوعِ
 فَأَكَادُ مِنْ حُرْقِي أَدُوبُ صَبَابَةٍ لَوْلَا يَجُودُ عَلَيَّ فَيْضُ دُمُوعِ
 وَوَعَدْتُمُونِي فِي الْحَيَاةِ بِزُورَةٍ فَتَضَاعَفَتْ حُرْقِي وَزَادَ وُلُوعِ
 إِنْ كَانَ ذَنْبِي صَدَّنِي عَنْ وَصْلِكُمْ فإِلَيْكُمْ فَقَرِي أَعَزُّ شَفِيعِ
 مَاضِي الْقَطِيعَةِ لَا يُعَادُ وَمَا جَرَى كَافٍ وَحُبِّي ذَلَّتِي وَخُضُوعِ

فقال : تالله ، لقد رثيت^(٥) لمصابه ، وبكيت لأوصابه^(٦) ، لأنه لا شيء
 أبكى من الاغتراب ، بعد الاقتراب ، ولا أنكى^(٧) من الحجاب ، بعد
 مشاهدة الأحباب .

* * *

(١) مربع : (المَرْبُوعُ) منزل القوم ، تقول : هذه (مَرَابِعُنَا) أى منازلنا .

(٢) ربوعى : (الرُّبُوعُ) الدار بعينها حيث كانت ، وجمعها (رِبَاعٌ) و (رُبُوعٌ) و (أَرْبَاعٌ)
 و (أَرْبُوعٌ) .

(٣) الكرى : النعاس . (٤) الأسى : الحزن .

(٥) رثيت : (رَثَيْتُ) الميت إذا بكيته وعددت محاسنه ، وكذا إذا نظمت فيه شعراً ، و (رَثَى)

له رق .

(٦) أوصابه : (الوَصْبُ) بفتح الصاد : المرض . (٧) أنكى : أشد أو أقصى .

إِشَارَةُ الدُّرَّةِ (*)

فبينما هو كلما نظر إلى ريشه نظرة ، تذكر تلك الحضرة ، فتجدد له الحسرة ، وكلما نظر إلى ساقه نظرة صاح وصعد الزفرة ، إذ رأيت إلى جانبه دُرَّةً ، قد كُسيَتْ ثياباً خَضْرَهُ ، فصاحت بفصاحتها : أيُّها الطاووس ، إلى كم هذا العُبُوس ، والعيش المنكوس^(١) ، أنت في الصورة عروس ، وفي المعنى كظلة الناووس ، أوقعك الرأى المعكوس ، حتى خرجت من منزلك المأنوس ، وإنَّما أُخرجت من مسكنك لجنايتك على السَّاكن ، وتحريكك للأمر القاطن ، فلو فكَّرت في السبب الذي أُخرجت به ، والشخص الذي طردت بسببه ، لاشتغلت بإصلاح شأنك ، عن التنزه في بستانك ، ويجب عليك كما جنيت على آدم في تلك الدار ، أن تشتغل ههنا بالاعتذار ، وتشاركه في الاستغفار ، وتعترف بعد الإنكار ، وتزاحمه في خلوات الأذكار ، لعلك أن تزور معه إذا زار ، فإنه لا بدَّ له أن يعود ، وتعود إليه أيام السعود ، فإن آدم أُخرج إلى مزرعة الدنيا ، وقيل له : ازرع اليوم ما هو في الغد محصود ، فإذا انتهى زرعك ، ونَمَّا فرعك ، فعُدْ إلى مقامك المحمود ،

(*) الدُّرَّةُ : هي هذا الطائر المعروف بـ (البغاء) طائر معروف مشهور ، دمث الخلق ، ثاقب الفهم ، يقال : ببغاء ذكر وأنثى ، وجمعه ببغاوات . من الطيور المتسلقة ، يوجد في بلدان كثيرة ، وهو من أذكى الطيور ، صوته شديد ولكنه يستطيع أن يحاكي ألفاظ الإنسان فيكون بذلك محبوباً مرغوباً فيه ، في لونه الأخضر والأسود والأحمر والأصفر . يأكل الحبوب والفاكهة ، ويبيض من اثنين إلى أربع بيضات على حسب نوعه . أنواعه كثيرة . قال أبو إسحاق الصابي في صفة البغاء :

أَنعَّثَهَا صَبِيحَةً مَلِيحَةً نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ
غَدَّتْ مِنْ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانِ يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
تُنْهِئِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارِ وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارِ
سَكَاءٌ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ تُعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ

(١) المنكوس : (تَكَسَّ) الشيء (فَاثْتَكَسَ) قلبه على رأسه ، و (نَكَّسَهُ تَنْكِيساً) .

على رغم الحسود . فمن عمل عملك فهو مسعود ، وحذا حدوك فهو موعود بدار الخلود ، ألا ترى كيف عَلَتْ هَمَّتِي ، وَسَمَت عَزِيمَتِي ، فلم أرضَ لنفسي بما رضيته أبناء جنسي ، لأنني نظرت إلى الوجود ، وما فيه موجود ، فرأيت آدمَ وبنيه من الكلِّ مقصود ، خلق الله الكائنات لأجلهم ، وخلقهم من أجله ، فوصلهم بحبله ، وفعل بهم ما هو من أهله ، فلذلك زاحمتهم في كلامهم ، وشاركتهم في طَعَامِهِمْ ، فأتشبه بهم ، وإن لم أكن منهم ، وأخالطهم ولا أرغب عنهم ، فغلت قيمتي إذ علت عزيمتي ، فأحلوني محلَّ النديم ، وألَّفَ بيني وبينهم من له الحكم القديم ، فاذا ذكر كما يذكرون ، وأشكر كما يشكرون ، لعلهم عند اللقاء يذكرون ، وإذا ذكرت يشكرون ، فأكون في الدنيا من تُخَدَمُهُمْ ، وفي الجنة تحت أقدامهم ، وفي ذلك أقول :

اخْتَبِرْ حَالِي تَجِدْنِي مِنْ أَصْحَ النَّاسِ مَخْبِرٌ
 أَنَا قَدْ أَحْبَبْتُ قَوْمًا شُرَّفُوا مَعْنَى وَمَنْظَرُ
 كَبَّرُوا قَدْرًا وَذِكْرًا فَهُمْ أَزْكَى وَأَطْهَرُ
 هَكَذَا قَدْ قَالَ حَقًّا سَيِّدُ الْكُونِ وَبَشَرُ
 كُلُّ مَنْ يَهْوَى حَبِيبًا فَمَعَ الْمَخْجُوبِ يُحْشَرُ (١)

فلما سام نفسه بهذا السَّوم ، ورأيته قد جلس بمزاحمته في صدور مجالس القوم ، قلت : ما رأيت كالיום ، البهائم في اليقظة ، وأنا في النوم ، مالي لا أراحم على أبواب ذوى المراحم ، لعلَّ يوهب مرحوم لراحم ، ويقال : مرحباً بالقدام ، ها قد وهبنا الجناية للنادم .

* * *

(١) فيه إشارة إلى قوله ﷺ في الحديث الشريف : « المرء مع من أحب ... » وإلى قوله ﷺ : « من أحب قوماً فهو منهم ، ويوم القيامة يحشر معهم » .

إِشَارَةُ الْخُفَّاشِ (*)

فناداه الخفّاش ، وهو فى ارتعاش : إِيَّاكَ وَالزَّحَامَ ، فقد حام حول الحمى
حام ، وهو من ذوى الأرحام ، فَمَا أذن القَسَامَ إِلَّا لسام^(١) :
فَلَا المنى^(٢) يُدْرِكُ بِسُمر القَنَا^(٣) وَلَا العُلَى^(٤) يَغْلُو بِحَدِّ الحُسَامِ
ولكن عليك بأوقات الخلوات ، والقيام فى الليالى المظلمات ، ألم ترانى
إذا طلعت الشمس ، دخلت إلى وكرى ، وإذا انبسطت النفس ، صفت لى
خلوة فكرى ، فأنا فى النهار ، لأزور ولا أزار ، محجوبٌ عن الأبصار ،
محجوبٌ إلى ذوى الاستبصار ، فإذا دجى^(٥) ليلى جردتُ^(٦) ذَيْلى ، وجعلت
الليل معاشى ، وفيه انتعاشى ، لأن فيه يفتح الباب ، ويرفع الحجاب ،

(*) الخفّاش : طائر لبون غريب الشكل ، ذو أذنين وأسنان ويبول كما تبول ذوات الأربع ،
ويرضع ولده ويحيض ، لذلك فهو يختلف عن الطيور فى كل شيء . وله ثلاثة أسماء : الخفّاش وهو
الأشهر ، والخُشَّاف ، والوطواط . وهو من طيور الليل لا يبصر فى ضوء ولا فى ظلمة ، لذلك
يتحرى الوقت الذى لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء ، وهو قريب غروب الشمس ، ويتفق أن هذا الوقت
الذى يخرج فيه البعوض وأشباهه ووقت انتشاره فى طلب الرزق ، فيتصيد الخفّاش ويتغذى به ،
وهو شديد الطيران سريع القلب ، وتلد أنثاه ما بين ثلاثة إلى سبعة ، ويحمل ولده تحت جناحيه ،
وقد ترضعه الأنثى وهى طائفة .

- (١) سام : (السَّامُ) الموت .
(٢) المنى : (الأُمْنِيَّةُ) واحدة (الأَمَانِي) ويقال فى جمعها : (أمان) و (أمانى) بالتخفيف
والتشديد ، تقول من الأمانة : (تَمَنَّى) الشيء و (مَنَى) غيره (تَمْنِيَّةٌ) .
(٣) القَنَا : جمع (قَنَاءة) وهى الرمح ، ويجمع أيضاً على (قَنَوَات) .
(٤) العُلَى : (العَلْيَاء) كل مكان مشرف ، و (العَلَاء) و (العَلَا) الرفعة والشرف ، وكذا
(المَعْلَاءة) ، والجمع (المَعَالِي) .
(٥) دجى : (الدُّجَى) الظلمة . وقد (دَجَا) الليل ، وليلة (داجيةٌ) ، وكذا (أَدَجَى) الليل
و (تَدَجَى) .

(٦) جردت : (تَجَرَّد) للأمر : أى جد فيه .

ويخلو الحبيب بالأحباب^(١) ، وتغفل أعين الرقباء ، وتتيقظ أشجان المحبين ، وأحزان الغرباء ، ثم لا تصادف إلا العشاق وذوى الأشواق ، ومن هو لكاس المحبة قد ذاق ، فيفتح الحبيب بابَه ويرفع حجابَه ، وينادى أحبابَه ، فترفع الرسائل بالدمع السائل ، وتُجَاب المسائل بالطف الوسائل ، ويقال : يا جبريل أقم فلاناً وأيم فلاناً ، وقل لمن كتم حبيي يصرح بالإعلان ، وقل لمن هو ظمان ، هذا الكأس ملآن ، وقل لمن هو فى حبنا ولهان إن الوصل قد آن ، وفى ذلك أقول :

يَا قَلْبُ لَا يُؤْذِي بِكَ الْخَفَقَانُ	رَاضِي الْحَبِيبِ وَوَاصِلُ الْغَضَبَانِ
وَصَفَتْ أَوْثِقَاتُ السُّرُورِ بِوَصْلِهِ	فَعَلَيْكَ فِي حُكْمِ الْهَوَى سِلْوَانُ
لَا تَكْحَلَنَّ بِغَيْرِ نُورِ جَمَالِنَا	إِنْسَانَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
الْيَوْمَ يَنْسَخُ بَيْنَنَا مِنْ بَيْنِنَا	لَا صَدَّ يُخْشَى لَا وَلَا هُجْرَانُ
لَا يُبْعِدَنَّكَ عَثْبِنَا عَنْ بَابِنَا	فَالْعَهْدُ بَاقٍ وَالْوِدَادُ مُصَانُ
فَبِحُبِّنَا وَبِلُطْفِنَا وَبِوَضْفِنَا	شَاعَ الْحَدِيثُ وَسَارَتِ الرُّكْبَانُ
فَلَرُبَّمَا يَكْبُو ^(٢) الْجَوَادُ وَرُبَّمَا	يَنْبُو الزَّنَادُ وَتَعَثُّ الْفُرْسَانُ
فَاخْضَعْ وَذَلِّ لِمَنْ تُحِبُّ فَإِنَّهُ	حُكْمُ الْهَوَى أَنْ تَخْضَعَ الشُّجْعَانُ
وَإِذْ ذَلَّتْ لِعَزَّنَا ذَلَّتْ لِعَزِّ	تِكَ الْمُلُوكُ وَهَابَكَ السُّلْطَانُ
يَا أَيُّهَا الْعُشَّاقُ دُونَكُمْ السَّبَا	قُ فَهَذِهِ الشُّقْرَاءُ وَالْمَيْدَانُ

فقلت له : أيها الطائر الضعيف مالى أراك تخالف من سواك ، إذا طلعت الشمس وقعت فى العشا ، فلا تزال كذلك إلى العشا^(٣) ، فتعمى بما يستضىء به الناس ، وهذا خلاف القياس .

فقال : يا آدمى التكوين ، ذلك لأنى فى مقام التلوين^(٤) ، وما بلغت

(١) فيه إشارة إلى اجتهاد المجتهدين وما يفعلون فى اجتهادهم وعبادتهم بالليل ، والناس نيام .

(٢) يكبو : (كبا) لوجهه سقط فهو (كاب) .

(٣) العشا : سوء البصر نهاراً . والعشا : أول الليل .

(٤) التلوين : هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة .

إلى مقام التمكين^(١) ، لأن المتلَوّن الخائف ، يدهش عند تشعشع أنوار المعارف ، والتممكن العارف ، من يثبت عند شهود أسرار اللطائف ، وإنما عدم تمكّني في تلويني ، لأنني مخلوق ناقص الحقوق ، بالنهار أستر نقصي باستتاري ، وبالليل أناجي الحبيب بانكساري ، فيجود بغناه علي فقري ، وبفضله علي احتقاري ، فأول ما جبر به كسري ، ورحم به فقري ، أن جعل الليل خلوتي ، ومع أحبابه حضرتي ، وإليه لا إلى سواه نظرتي ، فإذا انقضت خلوة الليل أغمضت عيني بالنهار ، كي لا أنظر إلى الأغيار ، وحق لمن سهر الليل أن ينام بالنهار ، وقبيح علي عين تتمعت برؤياه ، أن تنظر إلى ما سواه ، وفي ذلك أقول :

أَيَجْمَلُ أَنْ تَهْوَى هَوَاهُ وَتَدْعَى سِوَاهُ وَمَا فِي الْكَوْنِ يُعَشِّقُ إِلَّا هُوَ
 قَبِيحٌ عَلَى قَلْبٍ يَذُوبُ صَبَابَةً بِحُبِّ لَهْ فِي الْكَوْنِ مَثَلٌ وَأَشْبَاهُ
 إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ فِي الْحُسْنِ وَاحِدًا فَكُنْ وَاحِدًا فِي الْعِشْقِ إِنْ كُنْتَ تَهْوَاهُ

فقلت : تالله لقد فاز أهل الخلوات ، وامتاز أهل الصلوات ، ومنع من الجواز أهل الغفلات ، فافهم الإشارات .

* * *

(١) التمكين : هو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة .

إِشَارَةُ الدِّيكِ (*)

فقال الديك : ها أنا في ناديك أناديك ، وأنت في تَعَامِيكَ وتغاشيك (١) ، جعلتُ الأذَانَ لِي وظيفَةً ، أوقظ به من هو نائم كالجيفة (٢) ، وأُبَشِّرُ الَّذِينَ يدعون رَبَّهُمْ تَضَرَّعاً وَخِيفَةً ، وفي إِشَارَةٍ لطيفة ، وَمَعَانٍ ظريفة ، أَصْفَقُ بجناحي بُشْرَى للقاءم ، وأُعلن بصياحي تنبيهاً للنائم ، فتصفيق الجناح ، بشري بالنجاح ، وترداد الصياح ، دُعَاءٌ للفلاح ، ولئن كان الخفاش جعل له في الليل وظيفة ، فإنه في النهار نائم كالجيفة ، مستتر عن أعين الناس خيفة ، فأنا الذي لا أُحَلُّ بوظيفتي ليلاً ولا نهاراً ، ولا أُغفلُ عن وردى سرّاً ولا جهاراً ، قسّمت وظائف الطاعات ، على جميع الساعات ، فما تمرّ بي ساعة ، إلاّ ولى فيها وظيفة طاعة ، فبِي تُعَرَفُ المواقيت ، فأنا غالى القيمة ، ولو شربتُ

(*) الديك : هو ذكر الدجاج ، جمعه ديوك وديكة ، وتصغيره دُوَيْك . أكثر الطيور شهرة وعجباً لنفسه ، يبشر بطلوع الفجر . ومن عجائبه أنه يعرف أوقات الليل ، فيقسط أصواته عليها تقسيطاً لا يكاد يغادر منه شيئاً سواء طال أو قصر ، ويوالى صياحه قبل الفجر وبعده حتى أفتى بعض القضاة على ما ذكره العلامة الدميري صاحب حياة الحيوان بجواز اعتماد الديك المجرب في أوقات الصلاة . وقد أجاد الشاعر في وصفه فقال :

مُعَرِّدُ اللَّيْلِ مَا يَأْلُوكَ تَغْرِيداً مل الكزى فهو يدعو الصبح مَجْهُوداً
لما تَطْرَبُ هَذَا لَعَطْفٌ مِنْ طَرَبٍ ومُدَّ للصوتِ لِمَا مَدَّهُ الجيدا
كَلايسٍ مطرفاً مرح ذَوَائِبِهِ تُضاحِكُ البيضُ مِنْ أَطْرَافِهِ السوداء
حالي المُقلِّد لو قيست قَلَابِدُهُ بالوزدِ قَصَرَ عَنْهَا الِوزْدُ تَوْرِيداً

ومن أوصاف الديك ذى الرعشات . قال الشاعر :

مِمَّا يُورِقُنِي لَيْلاً وَيُسْهِرُنِي مِنْ صَوْتِ ذِي رَعَشَاتٍ سَاكِنِ الدَّارِ

(١) تغاشيك : (الغشاء) الغطاء ، وجعل على بصره (غَشَوَهُ) بفتح العين وكسرها وضمها ، و (غِشَاوَةٌ) بالكسر ، أى غطاء . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَغَشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة يس ~ آية ٩] .

(٢) الجيفة : جثة الميت ، والجمع (جيف) ثم (أجياف) .

باليواقيت ، فهذا حالى مع قيامى فى عيالى ، وإشفاقى على أطفالى ، فأنا بين
الدجاج ، أقنع بالماء الأجاج^(١) ، فلا أختصّ عنهم بحبّه ، ولا أتجرع من الماء
دونهم بشربه ، وهذه حقيقة المحبّة ، إن رأيت حبة دعوة دعوتهم إليها ، ودلّتهم
عليها ، فمن شأنى الإيثار ، إذا حصل اليسار ، ثم إنى طوعاً لأهل الدار ،
أصبر لهم على سوء الجوار ، يذبّحون أفرأخى ، وأنا لهم كالخيل المواخى^(٢) ،
وينتهبون أتباعى ، وأنا فى نفعهم ساعى ، فهذه سجيّة أوصافى ، والله
لعبده كافى .

فقلت له : أيّها الديك إلى كم تعظ ، ولا تتعظ ، وتنصح من هو عن
الصواب معترض ، وتجمع من ملازمتك الأذكار ، ومنادمتك فى ظلم
الأسحار ؟ فقال : يا قوم إذا حسن الوعظ انتفع به الكل أو البعض ، فالعقول
عارفة بما أقول ، فقد أفلح من وعى ، واجتهد فى الإخلاص وسعى ، ومن
أعماه الجهل ، فقد توعد مسلكه السهل ، وفى ذلك أقول :

يَذْكُرُ اللّٰهُ يَدْفَعُ كُلَّ خَوْفٍ وَيَدْنُوا الْخَيْرُ مِمَّنْ يَرْتَجِيهِ
وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَصْغَى وَيَذْرَى حَقِيقَةً مَا أَقُولُ وَمَنْ يَعِيهِ

فقلت له : أيّها الديك مالى أراك تغتر إذا شبت ، كما تغتر إذا مُنعت ؟
فقال : الحرص أغلب ، وهو لأجل القلوب أجلب ، وقد آن وُجود
الحبّ ، بمشيئة الربّ ، فعليك بحسن الطلب لبلوغ الأرب^(٣) ، فربما قل
رزقك ، إذا كثرَ حدقك .

قلت : فليهنك الخلاص من المرضى ، فلمّ بُليت منهم بهذه البغضى ،
وأنت صغير السنّ ، جدير بالرحمة من الإنس والجن ؟

(١) أجاجه : ماء (أجاج) أى يُلخ مُرّ . وقد (أجاج) الماء يُؤجج (أجاجاً) بالضم .
(٢) المواخى : (آخاه مؤاخاة) وإخاء ، والعامّة تقول : وإخاه ، و (تأخياً) على تفاعلا .
(٣) الأرب : الحاجة .

قال : ولع الطيب بهذه الأسماء ، فسجرت ^(١) الشفار ^(٢) لإراقة
الدماء ، فمن حان أجله ، عَظُمَ وَجَلَه ، والحِمام ^(٣) أجلٌ معلوم ، وما أحدٌ
من منيته بمعصوم ، وفي ذلك أقول :

إِذَا مَا الدِّيكُ صَفَّقَ بِالْجَنَاحِ فَمَا فِي شُرْبِ كَأْسِكَ مِنْ جُنَاحِ
فَبَادِرُ بَاضِطِبَاحِكَ يَا نَدِيمِي فَقَدْ طَابَ الصُّبُوحُ لَدَى الصَّبَاحِ
وَقَدْ رَكَعْتَ أَبَارِيقُ النُّدَامَا وَنَادَى الدِّيكُ حَيَّ عَلَيَّ الْفَلَاحِ

وفي ذلك أقول أيضاً :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي سَائِرِ الْأُمْرِ وَبَادِرْ إِلَى الطَّاعَاتِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
وَارِعْ حُقُوقَ الْجَارِ إِنْ كُنْتَ مُخْلِصاً وَإِنْ جَارَ فَاصْفَحْ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ الْجَوْرِ
فَإِنَّ إِلَهَ الْعَبْدِ كَافٍ لِعَبْدِهِ وَيَكْفِيكَ كَافٍ لِلْأُمُورِ وَلَا تَدْرِي

* * *

(١) فسجرت : (سَجَر) التنور : أحماه ، و (سَجَر) النهر : ملاه .

(٢) أشفار : حرف كل شيء (شفره) و (شفيره) .

(٣) الحِمام : بالكسر قدر الموت .

إِشَارَةُ الْبَطِّ (*)

فناداه البَطُّ ، وهو فى الماء يَنْغَطُّ (١) ، يامن بدنئىء همته يَنْحَطُّ ، لا أنت مع الطير فى الجو ترقى ، ولا أنت مع الحيوانات تبقى ، فأنت كالمُنْبَتِّ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقي (٢) ، سقوط نفسك ألقاك على المزابل ، ووقوفك مع الطَّلِّ حجبك عن الوَابِلِ ، وما ربح فى المتاجر من لم يقطع المراحل ، ولا ظفر بالجواهر من هو قائم على الساحل ، فلو ثَبَّتَ تمكينك ، وقوى يقينك ، لطرت فى الهواءِ ، ولمشيت على الماءِ ، ألم ترنى كيف ملكت هوى ، فملكتم عَالَمِي الماء والهواءِ ، فأنا فى البرِّ سائح ، وفى البحر سابع ، وفى الهواءِ سارح ، وقد جعلت البحر مركب عَزَى ، ومعدن كنزى ،

(*) البَطُّ : طائر الماء . وهو نوعان : وحشى وداجن ، فالوحشى يبلغ طوله (٣٠) سنتيمتراً ، وعندما يحين وقت البيض ترى فى كل خطوة عشاً فى الجهات التى يكثُر فيها . يطير قرب الشتاء طيراناً عالياً قوياً على هيئة مثلث ذاهباً إلى البلاد الأقل برودة ليأوى إليها . الواحدة منه تبيض من (٨) إلى (١٤) بيضة ، وتحتضنها (٣٠) يوماً ، وصغارها يعومون فى الماء ساعة ولادتهم . أما الداجن فأكبر من الوحشى ، يتخذة الناس فى البيوت ولا يستطيعون إحسان تربيته إلا إذا توفرت له المياه لأنه روحه .
قال الشاعر على النيفر :

الْبَطُّ صَيْئُ الدُّجَاجِ	من مُدْيَةِ غَيْرِ نَاجِ
وَهَبُهُ فِي طَيْبِ لَحْمِ	لَمْ يَخْجِكِهِ أَوْ نِتَاجِ
مُدَى الْوَرَى عَامِلَاتٍ	فِي الطَّيْرِ أَوْ فِي النَّعَاجِ
وَإِنْ أَعْجَبَ شَيْءٌ	يَرِيكَ غَيْرَ مُدَاجِ
أَنْ يَطْرَحَ الْبَيْضَ أَرْضاً	ذُونَ اعْتِنَا وَابْتِهَاجِ
وَيَحْضُنَ الْبَيْضَ عَنْهُ	أُنْشَى الدُّجَاجِ فَحَاجِ
وَمَا بِهِ مِنْ فِرَاحِ	بَدَا بِحَالِ احْتِيَاجِ
تِلْكَ الدُّجَاجَةُ تُؤْوِي	مِنْ هَذِهِ كُلِّ لَاجِ
وَأُمُّ ذَا الْفَرُخِ تَلْهُو	عَنْ رَغِي هَذَا النَّعَاجِ
بِالسَّبْحِ فِي الْمَاءِ وَالسَّيِّ	رِ فِي الْفَلَا وَالْفِجَاجِ

(١) يَنْغَطُّ : (غَطَّهُ) فى الماء غَوْصَهُ فيه ، و(انْغَطُّ) هو فى الماء . والمعنى : انغمس .
(٢) فيه إشارة إلى الحديث : « إن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقي » .

فَأَغْوَسُ فِي صَفَاءِ تَلَالِيهِ ، وَأَحْتَلِي مِنْ جَوَاهِرِهِ وَوَلَايِهِ ، ثُمَّ أَطْلِعُ فِيهِ عَلَى
حِكْمِهِ وَمَعَانِيهِ ، وَلَا يُعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهِ ، فَمَنْ وَقَفَ عَلَى سَاحِلِهِ ، لَمْ
يُظْفِرْ إِلَّا بِزَبْدِهِ ^(١) ، وَأَجَاجِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْذَرْ مِنْ دَوَائِحِلُهُ ، غَرِقَ فِي لُجْجِهِ ^(٢)
بَلَجَاجِهِ ، فَالسَّعِيدُ مِنْ رَكَبٍ فِي قَارِبٍ قَرَبَاتِهِ ، وَرَفَعَ قَلُوعَ تَضَرُّعَاتِهِ ،
مَتَعَرِّضاً لِنَفْحَاتِ نَسَمَاتِهِ ، مَاذَا بَنَانِ رَاحَاتِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ كَثَائِفَ ظَلَمَاتِهِ ،
وَوَصَلَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ بِصِفَاتِهِ ، وَذَاتِهِ ، فَهِنَاكَ يَقَعُ عَلَى عَيْنِ حَيَاتِهِ ، وَيَرِدُ
مِنْ عَذْبِهِ وَفُرَاتِهِ ^(٣) ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

يَا طَالِباً لِلْمَعَالِي	مَهْرَ الْمَعَالِي غَالِي
مَا اسْتَعَذَبَ الْمَوْتَ إِلَّا	مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ الرَّجَالِ
حَمَاهُ دُونَ وَصَالِ	حِمَاهُ حَدُّ النَّصَالِ ^(٤)
كَذَا الْقُصُورِ الْعَوَالِي	حُقِّقْتُ بِشُمْرِ الْعَوَالِي
كَالشَّهْدِ دُونَ جِنَاهُ	لَذَعُ كَحَدِّ النَّبَالِ
قَدْ طَافَ حَوْلَ حِمَاهُ	ذُؤُوا الْجُدُودِ الْعَوَالِي
وَصَابَرُوا فِي هَوَاهُ	عَلَيْهِ مَرُّ النَّكَالِ
صَامُوا وَبِالذُّكْرِ قَامُوا	فِي مُظْلِمَاتِ اللَّيَالِي
فَالرُّوحَ بِالشُّوقِ تَفْنَى	وَالجِسْمَ بِالسَّقْمِ بَالِي
قَدْ صَادَفَ الْحَبَّ مِنْهُمْ	لَهُمْ قُلُوباً خَوَالِي
إِنْ كُنْتَ مِنْهَا فَافْهَمْ	مَا فِيهِ سِرُّ مَقَالِي
أَوْ كُنْتَ بَطْالاً فَاتْرُكْ	مَنَازِلَ الْأَبْطَالِ

* * *

(١) زبده : بحر (مُزْبِدٌ) أى مائج يقذف بالزبد .
(٢) لُجْجِهِ : (لُجْجَةٌ) الماء بالضم معظمه ، وكذا (اللُّجج) ، ومنه بحرٌ (لُججِي) و (لُججِيَّت)
السفينة (تُلجججاً) خاضت اللجة . و (اللججاج) التماذى فى العناد إلى الفعل المذجور عنه .
(٣) فُرَاتِهِ : (الفرات) الماء العذب . يقال : ماءُ فُرَاتٍ ومياه فُرَاتٍ . والفرات نهر الكوفة .
و (الفُرَاتَان) الفرات ودجيل . قال الأزهري : دجيلٌ نهر صغير يتخلج من دجلة .
(٤) النصال : (التصل) نصل السهم والسيف والسكين والرمح ، والجمع (نُصُولٌ) ، و (نِصَالٌ) .

إِشَارَةُ النَّحْلَةِ (*)

فنادته نَحْلَةٌ ، يالها من نَحْلَةٍ (١) ، ما صحح في روايتها رِخْلَةٌ ، السَّعِيدُ من ظهر مَعْنَاهُ قبل دَعْوَاهُ ، وُعْلِمَ صَفَاءُ سِرِّهِ من نَجْوَاهُ ، ومن مَحَا حَقِيقَةَ دَعْوَاهُ ثبتت حَقِيقَةُ مَعْنَاهُ ، فلا تَقَلَّ قَوْلًا يَبْطُلُهُ فَعْلُكَ ، ولا تُرْبِي فِرْعَاً يَنْقِصُهُ أَصْلُكَ ، واعلم أنه بِصَفَاءِ المِشَارِبِ يَصْفُو الشَّارِبُ ، وبطيب المطاعم يطيب الطاعم ، ألا ترانى لما طاب مطعمى ، وصفا مشربى ، كيف رُفِعَتْ رَتْبَتِي ،

(*) النحلة : تقع على الذكر والأنثى ، ويطلق عليه البعض ذباب العسل . وهو نوع من الزنابير ، جسمه زغبي ، يوجد في كل جهة من أقطار الأرض . يربى للحصول على عمله الذي يجنيه من الأزهار ويدخره لنفسه ولصغاره وهو العسل . وللنحل في حياته نظام عجيب جداً ، فهو يعيش مجتمعاً كالإنسان ، وله نظام يحير الألباب وقانون يسير عليه في جميع أموره ، وهو يُكون ممالك كل مملكة أو خلية تتكون من ثلاثة أصناف : صنف يقال له : العملة ، وصنف ثان يقال له : الذكور ، وصنف ثالث من الإناث أو الملكات لأنها هي صاحبة السيادة على جميع المملكة . وقد قال الشاعر حسن البحيري قصيدة جميلة عن النحل ، رأيت أن أقتبس منها عدة أبيات من غير ترتيب ، قال :

فَرَأَيْتُ النَّحْلَ فِي أَرْجَائِهَا	بَيْنَ رَقْصِ وَارْتِشَاقِ وَانْتِشَاءِ
تَتَهَادَى فَوْقَ أَزْهَارِ الرَّبِّي	تَجْتَنِي مِنْ كُلِّ نَغْرٍ مَا نَشَاءِ
سَلَكْتُ لِلْكَشْبِ سُبُلًا ذُلًّا	ثُمَّ آبَتْ بَعْدَ جِدِّ وَعَنَاءِ
بِغُبَارِ الطَّلَعِ مِنْ أَكْمَامِهِ	أَوْ رَجِيتِ الزُّهْرِ أَوْ سَمِعِ الضُّبْيَاءِ
أَوْ رُضَابِ النَّعْمِ مَعْسُولِ اللَّمَى	أَوْ لُعَابِ الشُّهْدِ أَوْ عَذْبِ الدَّوَاءِ
ثُمَّ مَجَّتُهُ شَرَابًا سَائِغًا	فِيهِ لِلنَّاسِ شِفَاءٌ وَدَوَاءُ
يَا لَهَا مِنْ آيَةٍ صَامِتَةٍ	صَمْتُهَا يُعْطِي بَيَانَ الْبُلْغَاءِ
رَبِّ قَدْ أَحْكَمْتَ خَلْقًا بَاهِرًا	لَمْ يَزَلْ يَتْلُو بِتَمَجِيدِ الدُّعَاءِ
سُورَ الْحَمْدِ وَآيَاتِ الثَّنَاءِ	مُرْسِلًا تَشْبِيحَهُ صُبْحَ مَسَاءِ
قَائِلًا لِلنَّاسِ الْفِكْرِ وِلْد	مُعْمِضِ الْعَيْنَيْنِ عَنِ فَيْضِ السَّنَاءِ
كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ هُدَى	فَسَرَتْ إِعْجَازَ آيَاتِ السَّمَاءِ

(١) نِحْلَةٌ : عطية ، يقال : (نَحَلُ) المرأة مهرها يَنْحَلُهَا (نِحْلَةٌ) بالكسر أعطاهها عن طيب

نفس من غير مطالبة ، وقيل : من غير أن يأخذ عَوْضًا .

وعلا منصبى ، وكمل أدبى ، وإلا فمن أنا حتى يوحى إلى ، وينصّ فى الذكر الحكيم على ، فقال من له الحكم وإليه ترجعون : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (١) ، ولولا أنّى أكلت الحلال ، ولزمت أشرف الخلال (٢) ، حتى صرت كالخلال ، أسلك سُبُل ربي ذُلًّا ، وأشكر من نعمه فصولًا وَجُمَلًا ، أتبع المُباح الذى ليس على آكله جُنَاح ، فأجعل فى الجبال بيوتى ، ومن مُباح الأشجار قوتى ، أصنع لى بُيُوتًا يعجز كل صّانِع عن تأسيسها ، ويتحير أقليدس الحكيم (٣) فى حلّ شكلها وتسديسها ، ثم أسقط على الزهر والثمر ، فلا أكلم (٤) ثمرة ، ولا أهشم زهرة ، بل أتناول منها شيئاً على هيئة الطلّ فأتغذى به قانعة وإن قلّ ، ثم أعود إلى عُشّى ، فاشتغل فى وكرى ، بفكرى ، وأخلص لمولاي فى ذكرى ، فلا أفتر عن الذكر ، ولا أغفل عن الشكر ، علّمتُ بإلهام الوحي لى ، وعملت بالتوفيق الأزلى ، فأورثنى علمى وعملى ، شمعى وعسلى ، فالشمع ثمرة العلم ، والعسل ثمرة العمل ، فالشمع للضياء ، والعسل للشفاء ، فإذا قصدنى قاصدٌ يستضىء بضياءى ، أو يستشفى بشفائى ، فلا أذيقه حلاوة نفعى ، حتى أجرحه مرارة لسعى ، ولا أنيله شهدي ، إلا بعد مكابدة جهدى ، فإذا اقتنصه منى قهراً أحمى عنه بروحى جهراً ، وأقول : يا روحِ روحى ، ثم أقول لمن جنّانى واستخرج ما فى جنّانى : أنت يا جانى على جانى ، فإن كنت للمعانى تُعانى فقد رمزت لك فى خِصالى ، إنك

(١) سورة النحل : الآية (٦٨) .

(٢) الخلال : جمع (خَلَّة) بالفتح الخصلة . والخلال : العود الدقيق الذى يُتخلل به .

(٣) أقليدس : من أشهر رياضى اليونان ، وجد قبل المسيح بعدة قرون . ترجم عنه العرب كتباً رياضية غاية فى النفع . نقل كتابه فى الرياضة حنين بن إسحاق ، فجاء العلامة ثابت بن قره حوالى سنة (٢١١ هـ) فنقحه وهذبه وسهل مصاعبه .

(٤) أكلم : (الكَلْم) الجرح ، والجمع (كُلوْم) و (كِلَام) . وقد (كَلَّمه) أى جرحه ، ومنه (التَّكليم) التجريح .

لا تصل إلى وِصَالِي ، حتى تصبر على حدِّ نِصَالِي ، وفي ذلك أقول :

اضْبِرْ عَلَيَّ مُرَّ لَسْعِي إِنَّ رُمْتَ مِنِّي وَصَالَا
وَأَتْرُكْ لِأَجْلِ هَوَايَا مِنْ صَدِّ جَهْلًا وَصَالَا
وَمُتْ إِذَا شِئْتَ تَحْيَا وَاسْتَعْجِلِ الْآجَالَا
فَمَسْلِكِ الْحُبِّ صَعْبٌ يُقَطِّعُ الْأَوْصَالَا
عَذَابُهُ الْمُرَّ عَذْبٌ يُخَفِّفُ الْأَثْقَالَا
إِنْ كُنْتَ مَعْنَى تَمَعْنَى قَقَدَ ضَرَبْتَ مِثَالَا
وَإِنْ فَهِمْتَ رُمُوزِي أَقْدِمِ وَإِلَّا فَلَا لَا

وفي ذلك أقول أيضاً :

أَحْرَصْ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغُ الْأَمَلَا وَلَا تَعِيشُ بِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا
فَالنَّحْلُ لِمَا جَنَى مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ أَبَدَا لَنَا مِنْهُ صِنْفِي الشَّمْعَ وَالْعَسَلَا

* * *

إِشَارَةُ الشَّمْعِ (*)

فلما فرغ النحل من مقالته ، وما رمز في إشارته ، سمع استغاثة شمعه ، فأصاغ إليه بسمعه ، فإذا هو يحترق بالنار ، ويكي بدموع غزار ، ويقول : أيتها النحلة ، أما يكفيني أن رُميت بيني ، وفرق الدهر بينك وبينى ، فأنت في الوجود أبى ، وفي الإيجاد سببى ، فأفردت عنك أنا والعسل وهو أخی وشقيقى ، وصاحبى ورفيقى ، فبينما نحن مجتمعون ، إذ فرقنا يدُ النار ، ورمينا ببُعْدِ الدَّارِ ، وشَطِّ (١) المزار ، فأفردت عنه ، وأفردت عني ، وبت (٢)

(*) الشمع العسلي ، وسمى الشهد ، مادة ينتجها النحل وبينى بها طبقات خليته وفي نخاريه يضع العسل ويربى أولاده . وكان هذا الشمع يستعمل قديماً للاستصباح .

(١) شط : (شطت) الدار (تشط) بضم الشين وكسرهما (شطاً) و (شطوطاً) أى بعدت .

(٢) بت : (البتين) الفراق .

عنه ، وبان عني ، ثم سلط على النار ، ولم أكن من أهل الأوزار^(١) ،
فكبدى يحترق ، وجسدى يمتزق ، فأهل المحبة يقاسون باحتراقى ، وأهل
المعرفة يستضيئون بإشراقى ، ففي إشراق وإحراق ، ودمعى مُهْرَاق^(٢) ، قائمة
في الخدمة على ساق ، أحرقت نفسى ، وأشرق على غيرى ، فأنا المعذب
بشررى ، وغيرى مستمتع بخيرى ، فكيف ألام على اصفرارى ، ودموعى
الجوارى ، ثم يقصدنى الأوباش^(٣) من الفراش ، يريدون إطفائى ، وإذهاب
ضياءى ، فأحرقه مكافأةً لفعله ، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله^(٤) ، فلو
ملئت الأرض فراشاً لكنت منهم فى أمان ، كما لو ملئت الأرض أوباشاً
لما قدروا أن يطفئوا نور الإيمان ، ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ... ﴾^(٥) ، وفى ذلك أقول :

حَالَتِي يَا نُورَ عَيْنِي مِنْكَ نُورٌ أَيْ نُورِ
فَهُدَايَا وَضِيَائِي مِنْكَ يَا كُلَّ الشُّرُورِ
لَمْ يُطِيقْ كُلُّ عَذُولٍ مِنْكَ يَرْمِينِي بِزُورِ
وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ لَمْ يُطِيقْ إِطْفَاءَ نُورِي

* * *

(١) الأوزار : (الوزر) الإثم والثقل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام : ١٦٤] أى لا تأثم أئمة بإثم أخرى .

(٢) مهراق : (هراق) الماء (يُهْرِيقُهُ) بفتح الهاء (هِرَاقُهُ) بالكسر صبه ، وأصله أراق يُريق إراقة .

(٣) الأوباش : من الناس والفراش وأى شىء الأخلاط ،

(٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة فاطر ، الآية (٤٣) .

(٥) سورة التوبة : الآية (٣٢) .

إِشَارَةُ الْفَرَّاشِ (*)

فاستغاث الفَرَّاش ، وهو ملقى على الفَرَّاش ، يتلهب في تلاشيهِ ، ويتقلَّب في تغاشيهِ ، ويقول : يا لله العجب ! أبذل نفسى فى هواك ، وتسومنى سوم أعداك ، فياليت شعرى مَنْ بقتلى أفتاك ، وَمَنْ بهتكى (١) أغراك ، أين لك مثلى عاشق صادق ، وصديق موافق ، صبرت على أذاك وإحراقك ، وقدمت على الموت دون عُشَّاقك ، فهل رأيت محبًّا يعدُّبه حبيبه ، وعليلًا أسقمه (٢) طبيبه ، أحبَّك فتعذبنى ، وأقرب منك فتحرقنى ، وتدنينى شدة شوقى إليك ، فأهجم بإدلالى عليك ، أطلب منك الوصول فتصول علىّ ، فتحرقنى وتمزقنى ، فما أصاب أحد مُصَّابى ، ولا عُذِّب أحد عذابى ، ولست لغيرك صابى ، وكان يكفينى ما بى ، لو سلمت من توييخى وعتابى ، وفى ذلك أقول :

جِئْتُ أَشْكُو إِلَى حَبِيبِي مَا بِي فَرَمَانِي مِنْهُ بِسَوِّطِ عَذَابِ

(*) الفراشة : حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج فيحترق ، جمعها فراش .
ومما ورد عنه فى الأمثال : أخف من فراشة ، أطيح من فراشه .

قال مهلهل بن يموت :

حَلَّتْ مَحَاسِنُهُ عَنْ كُلِّ تَشْبِيهِ وَجَلَّ عَنْ وَاصِفِ فِي الْحُسْنِ يَحْكِيهِ
انْظُرْ إِلَى حُسْنِهِ وَاسْتَعْنِ عَنِ صِفَتِي سُبْحَانَ خَالِقِهِ سُبْحَانَ بَارِيهِ
النُّرْجِسُ الْعَضُّنُ وَالْوَرْدُ الْجَنَى لَهُ وَالْأَقْحَوَانُ النَّضِيرُ الْعَضُّ فِي فِيهِ
دَعَا بِالْحَاطِظِ قَلْبِي إِلَى عَطْبِي فَجَاءَهُ مَسْرِعًا طَرُوعًا يُلَبِّيهِ
مِثْلُ الْفَرَّاشَةِ تَأْتِي إِذْ تَرَى لَهَا إِلَى السُّرَّاجِ فَتَلْقَى نَفْسَهَا فِيهِ

(١) بهتكى : (الهتك) خرق الستر عما وراءه . وقد (هتكه فانهتك) ، و (هتك) الأستار

شدد للكثرة ، والاسم (الهتكة) بالضم ، و (تهتك) أى افتضح .

(٢) أسقمه : (السقام) المرض ، وكذا (السقم) و (السقم) ، وقد (سقم) فهو (سقيم)

و (المشقام) الكثير السقم .

كفراشٍ قد جاءَ يَطْلُبُ وَضَلًا فَرَمَاهُ حَبِيبُهُ بِشِهَابِ
هُوَ مُلْقَى لَدِيّ الحَبِيبِ حَرِيقًا وَغَرِيقًا فِي لُجَّةٍ وَاكْتِتابِ
فِي حِسَابِي أَنِّي وَصَلْتُ وَلَكِنْ سَطْوَةَ الهَجْرِ لَمْ تُكُنْ فِي حِسَابِي
ذُبَّ غَرَامًا وَحُرْقَةً وَاشْتِياقًا هَكَذَا شَرَطُ سُنَّةِ الأَحْبَابِ

* * *

إِشَارَةُ الفَرَّاشِ مَعَ الشَّمْعِ

فلَمَّا ذَكَرَ الفَرَّاشَ مُصَابَهُ ، وَشَكَى أَوْصَابَهُ (١) رَقَّ لَهُ الشَّمْعُ مِثْلًا أَصَابَهُ ،
وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا العَاشِقُ الصَّادِقُ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ فَإِنِّي لَكَ مُوَافِقٌ ، وَأَنَا مُصَابٌ
بِمُصَابِكَ ، مَعْدَبٌ بِعَذَابِكَ ، فَاسْمَعْ قِصَّةً مِنْ أَعْجَبِ القِصَصِ ، وَارْحَمْ
غِصَّةً مِنْ أَعْظَمِ الغِصَصِ (٢) ، لَيْسَ بِعَجَبٍ مِنْ مُحِبِّ يَحْتَرِقُ ، وَإِنَّمَا العَجَبُ
مِنْ مُحِبِّ يَحْتَرِقُ ، هَذِهِ النَّارُ تَحْبِنِي وَتَطْلُبُ قَرِيبِي ، وَهِيَ بِأَنْفَاسِهَا تَحْرِقُنِي
وَتَذِينُنِي ، هِيَ تَدْعِي هَوَايَ ، وَتَسْتَدْعِي لِقَايَ ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِفِنَائِي فَلَا بَقَاءَ
لَهَا إِلَّا بِفِنَائِي ، وَهَذَا لِعَمْرِي أَعْجَبُ الأَشْيَاءِ ، أَنْ حَبِيبًا يَفْنِي وَمُحِبًّا يَبْقَى ،
وَمَعشُوقًا يَسْعَدُ ، وَعَاشِقًا يَشْقَى .

* * *

(١) أَوْصَابُهُ : (الوَصْبُ) بفتح الصاد : المرض .

(٢) الغِصَصُ : (الغِصَّةُ) الشجى ، والجمع (غُصَصٌ) ، والشجى : الهم والحزن .

إِشَارَةُ النَّارِ

فنادت النار : أيها المعبّد بإحراقى ، والداهش بنور إشراقى ، إن كان دخان احتراقك إلى راق^(١) ، فأنا نازل إليك فى السّحر راقى^(٢) ، تشكو ممّا تلاقى ، وتفوز بساعة التلاقي ، فيا فوز من شرب بكاسى وأنا الساقى ، وياسعادة من فنى فى وأنا الباقي ، وفى ذلك أقول :

وَلَقَدْ أَقُولُ لِشَمْعَةٍ نَادَمْتُهَا وَسُدُولُ^(٣) جُنْحِ اللَّيْلِ زَادَ جُمُوحُ^(٤)
 أَنَا مَنْ يَجِنُّ إِلَى الْأَجْبَةِ قَلْبُهُ وَإِلَى الْبُكَاءِ بِدَمْعِهِ الْمَسْفُوحُ^(٥)
 قَالَتْ : عَجَلْتُ عَلَى فِيمَا قُلْتُهُ فَاسْمَعْ بِيانَ حَدِيثِ الْمَشْرُوحِ
 إِنْ كَانَ أَذْهَلَكَ الزَّمَانَ بِخَطْبِهِ فَلَقَدْ فَقَدْتُ أَنَا شَقِيقَةَ رُوحِي
 أَفْرَدْتُ عَنْ خِلِّ شَهْيٍ وَضَلُّهُ حُلُو اللَّمَى^(٦) عَذْبُ الْمَذَاقِ صَرِيحِ
 قَدْ سُلِّ مِنْ جَسَدِي وَكَانَ شَقِيقَهُ فَرَجَعْتُ مِنْهُ بِقَلْبِي الْمَقْرُوحِ
 هَأَنْتَ تَنْدُبُ مِنْ حِكَاةِ بَرِيقِهِ أَوْ طَعْمِهِ أَوْ دَلُّ فِي التَّسْبِيحِ
 فَأَنَالَهُ هُوَ قَدْ فَقَدْتُ بَعَيْنِهِ أَوْلَيْسَ بُخْلُ مَدَامِعِي بِقَبِيحِ
 فَالنَّارُ فَرَّقَتِ الْحَوَادِثَ بَيْنَنَا وَبِهَا تَذُوبُ حَشَاشَتِي مَعَ رُوحِي

* * *

(١) راق : أى من الرقى ، وهو الصعود .

(٢) راقى : أى من الرقية ، و (الرُقِيَّة) معروفة ، والجمع (رُقَى) ، و (اشترقاه فَرَقَاه) يرقيه (رُقِيَّةً) بالضم فهو (رَاقٍ) .

(٣) سدول : (سَدَل) ثوبه أرخاه .

(٤) جموح : (جَمَح) أسرع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ [التوبة : ٥٧] .

(٥) المسفوح : المهرق ، و (سَفَح) الماء هَرَقَهُ ، و (سَفَحَ) دمه سفكه ، ومنه يقال : رجل

(سَفَّاحٌ) .

(٦) اللمى : (لَمَّة) الرجل يَرُوبُهُ وشكله ، وفى الحديث : « ليتزوج الرجل لُمته » .

إِشَارَةُ الْغُرَابِ (*)

فبينما أنا في نشوة الخطاب ، وسكرة هذا الشراب ، إذ سمعت صوت غراب ، ينعق بين الأحباب ، ويفرق بين الأتراب ، ينوح^(١) نوح المصاب ، ويندب^(٢) ما يجده من أليم العذاب ، قد لبس من الجدادِ جلاب ، ورضى بين العباد بتسويد الثياب ، فناديته : أيها النادب ، لقد كدّرت ما كان صافياً ،

(*) الغراب : بالضم طائر معروف كبير الجثة أسود اللون ، وهو معدود في الجوارح ، جمعه على غربان ، وأغربة ، وغرايين ، وغرب ، وأغرب . وقد جمعها ابن مالك في قوله :
بالغرب أجمع غرباً ثم أغربة وأغرب وغرايين وغربان
وله كنى كثيرة منها : أبو جحادف ، وأبو الجراح ، وأبو حاتم ، وأبو حذر ، وأبو زاجر ، وأبو زيدان ، وأبو الشؤم ، وأبو غياث ، وأبو القعقاع .
وأثناه تبيض أربع بيضات أو خمساً ، والأنثى هي التي تحضن البيض ، وعلى الذكر أن يأتيها بالمطعم ، وفي طبعه أنه لا يتعاطى الصيد ، بل إن وجد جيفة أكل منها .
وسمى الغراب لسواده إن كان أسود ، وأبقح لاختلاف لونه .
قال الجاحظ : قال صاحب منطق الطير : الغراب من لئام الطير وليس من كرامها ولا من أحرارها ، ومن شأنه أكل الجيف والقمامات ، وكانت العرب تتشائم من الغربان ، لذا اشتقوا اسمه من الغربة .
ومما ورد في الأمثال : أبصر من غراب ، احذر من غراب ، أشام من غراب البين .
قال العقاد (عباس محمود) تحت عنوان (عادات الغراب) :

بش الغراب وإن ذكرته بصوته	عطف الحبيب عليه كل صبح
أبدأ يقطع كل شاد حوله	كمعطلى الإنشاد في الأفراح
وإذا شدا الكروان أتبع شدوه	بصياح مشوم منه أو بنواح
وإذا ترنمت القمارى أنبرى	ما بين تنعاب وخفق جناح
حسداً ولؤماً أو غروراً لم يزل	دأب الحشود وديدن الملحاح
لا عاد فرغ كان ينعب فوقه	فرمته فأس الحاطب المجتاح

(١) نوح : (التناوح) التقابل ، ومنه سميت (التوائخ) لتقابلهن ، و (نأخت) المرأة ، و (نياحاً) أيضاً بالكسر ، والاسم (النياحة) ونساء (نؤخ) و (أنواح) و (نؤح) و (نوائخ) و (نائحات) كله بمعنى واحد ، ونقول : كنا في (منأحة) فلان بالفتح .
(٢) يندب : (ندب) الميت بكى عليه وعدد محاسنه ، والاسم (الندبة) .

ومررت ما كان حلواً شافياً ، فما لى أراك فى البكور ساعياً ، وعلى الربوع ناعياً^(١) ، وإلى البين^(٢) داعياً ، إن رأيت شمالاً مجتمعاً ، أنذرت بشتاته ، وإن شاهدت ربعاً مُربعاً ، بشرت بدروس عرصاته^(٣) ، فأنت لذي الخليط المعاشر ، أشأم من قاشر^(٤) ، وعند اللبيب الحاذر ، الأُم من مادر^(٥) ، فنادانى بلسان زجره الفصيح ، وأشار بعنوان حاله الصريح : ويحك أنت لا تفرّق بين الحسن والقبيح ، وقد تساوى لديك العدو والنصيح ، لا بالكناية تفهم ولا بالتصريح ، كأن المواعظ فى أذنيك ريح ، وكلام الواعظ فى هواك كالنبيح ، أما تذكر ارتحالك عن هذا الفضاء الفسيح ، إلى ضيق اللحد^(٦) وظلمات الضريح ، أما بلغك ما جرى على أهلك آدم ، وهو ينادى على نفسه ويصيح ، أما يكفيك ما جرى على داود وهو يكي بدمعه القريح^(٧) ، أما تعتبر بنوح وهو ينوح على دار ليس فيها مستريح ، أما سمعت بماء جاء فى قصة إبراهيم وهو فى نار النمرود طريح ، أما تقتدى بصبر الذبيح ، أما تهتدى بزهد المسيح ، ويحك أىّ جمع لم يتفرّق ، وأىّ شمل لم يتمزّق ، وأىّ صفو لم يتكدر ، وأىّ حلو لم يتمرّر ، وأىّ أمل لم يقطعه حلول

(١) ناعياً : (النَّعْيُ) خبر الموت ، يقال : (نَعَاه) له يَنْعَاهُ (نَعْيًا) و (نَعْيَانًا) أيضاً بالضم ، و (النَّعْيُ) أيضاً بالتشديد (النَّاعِي) وهو الذى يأتى بخبر الموت .

(٢) البين : الفراق .

(٣) عرصاته : (العَرْصَةُ) كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والجمع (العِرَاص) و (العرصات) .

(٤) قاشر : قيل : هو فحل لبعض قبائل العرب استطرقوه رجاء أن يؤنث إبلهم فماتت الأمهات والنسل . لذلك يقال : أشأم من قاشر .

(٥) مادر : لقب مخلوق لثيم من بنى هلال بن مالك بن صعصعة ، سقى إبله فبقى فى الحوض قليل ، فسلح فيه ، ومدر الحوض به .

(٦) اللحد : الشق فى جانب القبر ، و (لَحْدٌ) القبر لَحْدًا ، و (أَلْحَدٌ) له أيضاً .

(٧) القُزْحَةُ : بياض بين عيني الفرس مثل الدرهم الصغير فما دونه .

الأجل ، وأى تدبير لم يطله التقدير ، وأى بشير لم يعقبه نذير ، أى حال
قط ما حال ، وأى زوال قط ما زال ، وأى مال قط ما مال ، أين ذوو العمر
الطويل ، أين ذوو المال الوافر الجزيل ، أين ذوو الوجه الجميل ، أما قرضهم
الموت جيلاً بعد جيل ، أما ساوى فى الثرى^(١) بين المولى الجليل والعبء
الذليل ، أما هتف بالمتمتع من دنياه ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾^(٢) فكيف
تلومنى على نواحي ، وتتشاءم بصياحى فى مسائى وصباحى ، ولو علمت
يقيناً أيها اللأحى^(٣) ما فيه صلاحك وصلاحى ، لا تَشَحَّتْ^(٤) بوشاحى^(٥) ،
ووافقتنى فى سواد جناحى ، وأجبتنى بالنواح فى سائر النواحي ، وإن ألهاك
هَوَاك ولهوك ، وَحَجَبِكَ عُجْبِكَ وزهوك ، وها أنا أنذر النازل خراب المنازل ،
وأحذر الآكل غُصَّةَ المآكل ، وأبشّر الراحل بقرب المراحل ، وصديقك من
صَدَقْكَ لا من صَدَّقَكَ ، ومن عزلك لا من عَذَّرَكَ ، ومن بَصَّرَكَ لا من
صَبَّرَكَ ، ومن وعظك فقد أيقظك ، ومن أنذرك فقد حذرك ، ولقد أنذرتك
بسوادى ، وحذرتك بتردادى ، وأسمنتك ندائى فى النادى ، ولكن لا حياة
لمن تنادى ، وفى ذلك أقول :

أنوح على ذهابِ العمر منى وحقى أن أنوح وأن أنادى
وأندبُ كلما عاينتُ ركباً حدا بهم لوشكِ البينِ حادى
يُعنفنى الجهولُ إذا رانى وقد ألبستُ أثوابَ الجدادِ

(١) الثرى : الثراب .

(٢) سورة النساء : الآية (٧٧) .

(٣) اللأحى : يقال : (لَحَاهُ) الله : أى قَبَحَهُ وَلَعَنَهُ .

(٤) لا تشحت : لبست أو ارتديت ، يقال : (وَشَحَّهَا فَتَوَشَّحَتْ) أى لبسته . وربما قالوا :

(تَوَشَّحَ) الرجل بثوبه وسيفه .

(٥) بوشاحى : (الوشاح) بالكسر : شىء ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشده المرأة

بين عاتقها وكشحها .

وَهَا أَنَا كَالْخَطِيبِ وَلَيْسَ بِدَعَاً
 فَقُلْتُ لَهُ : اتَّعِظْ بِلِسَانِ حَالِي
 أَلَمْ تَرْنِي إِذَا وَافَيْتَ رَبِعاً
 أَنْوُحَ عَلَى الطُّلُولِ (١) فَلَمْ يُجِبْنِي
 فَأَكْثِرُ فِي نَوَاجِيهَا نَوَاحِي
 تَيَقُّظٌ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ وَافْهَمِمْ
 فَمَا مِنْ شَاهِدٍ فِي الْكَوْنِ إِلَّا
 فَكَمْ مِنْ رَايِحٍ فِيهَا وَغَادِي
 لَقَدْ أَشْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا
 وَنَاراً لَوْ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتَ

عَلَى الْخُطْبَاءِ أَثْوَابُ السَّوَادِ
 فَإِنِّي قَدْ نَصَحْتُكَ بِاجْتِهَادِي
 أَنْادِي بِالنَّوَى فِي كُلِّ وَادِي
 بِسَاحَتِهَا سِوَى خُرْسِ الْجَمَادِ
 مِنَ الْبَيْنِ الْمُفْتَتِ لِلْعَوَادِي
 إِشَارَةً مَا تُشِيرُ بِهِ الْعَوَادِي (٢)
 وَيَشْهَدُ بِالمَصِيرِ إِلَى النِّفَادِ
 يُنَادِينِي بِقَرْبٍ أَوْ بَعَادِي
 وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي
 وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادِي

* * *

(١) الطُّلُولُ : (الطُّلُّ) ما شخص من آثار الدار ، والجمع (أَطْلَال) و (طُلُول) .

(٢) الْعَوَادِي : (عَوَادِي) الدهر عوائقه .

إِشَارَةُ الْهُدُودِ (*)

فلما كثر الغراب علىّ وقتي ، وحذرنى مقتي ، انصرفت من حضرتي ،
 ورجعت إلى خلوة فكرتي ، فهتف بي هاتف من سماء فطرتي : أيها السامع
 منطق الطير ، المتأسف على فوات الخير ، تالله لو صفت الضمائر ، لنفذت
 البصائر ، واهتدى السائر ، وما ضلّ الحائر ، ولو طابت السرائر^(١) ، لبانت
 الأمائر ، ولو انشاحت الصدور ، لورد المصدور ، ولو ارتفعت الستور ، لظهر
 المنشور ، ولو طهرت القلوب ، لظهرت الغيوب ، وشوهد المحبوب ، ولو أعرضت
 عن الأسباب ، لفتح لك الباب ، ولو خلعت ثياب الإعجاب ، لا ترتفع
 الحجاب ولو غبت عن عالم العيب ، لشهدت عالم الغيب ، ولو قطعت
 العلائق ، لا نكشفت لك الحقائق ، ولو خالفت العادة ، لما قطع عنك مادة ،
 ولو صحت الإرادة ، لحصلت لك الزيادة ، ولو ملت عن هواك ، لمال بك
 إليه ، ولو فارقت إتيك لجمعك عليه ، ولكنتك محبوس بسجن طبعك ،
 مقيد بقيد مألوفاتك ، متشاغل بشواغل نفسك ، متعلق بحبال خيال
 حسك ، قد أغرقتك برودة عزمك ، وأحرقتك حرارة حرصك ، وأثقلتك

(*) الهُدُودُ : من الطيور المشهورة بجمال شكلها ، يجمع على هداهد ، وهداهيد . من صفاته وجود تاج من الريش على رأسه ، وجسمه مغطى بريش مبقع باللونين السنجابي والأسود ، ومن صفاته أيضاً أنه طويل المنقار ، وهو مشهور بشدة الخوف والسكوت ، يأكل الحشرات والديدان ، وهو يبنى عشه في شقوق الصخور والجدران وجذوع الأشجار ، وهو من الطيور الرحالة .

قال أبو الشيبان (محمد بن عبد الله بن رزين) في وصف الهدد :

لا تَأْمَنَنَّ عَلَى سِرِّي وَسِرِّكُمْ	غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَوْطَى الْقَرَّاطِيْسِ
أَوْ طَائِرٍ سَأَحْلِيهِ وَأَنْعَثُهُ	مَا زَالَ صَاحِبَ تَنْقِيرٍ وَتَدْسِيْسِ
سُوْدٍ بَرَائِنُهُ مِيْلٌ ذَوَائِبُهُ	صُفْرِ حَمَالِقُهُ فِي الْخُسْنِ مَغْمُوسِ
قَدْ كَانَ هَمٌّ سُلَيْمَانُ لِيَذْبَحَهُ	لَوْلَا سِعَايَتُهُ فِي مُلْكِ بَلْقِيْسِ

(١) السرائر : (الشر) الذي يكتنم ، وجمعه (أسرار) ، و (السريرة) مثله ، وجمعه (سرائر) .

تخمة بطرك ، وأسقمتك عفونة رعونتك^(١) ، وبرسمتك^(٢) وساوس شهوتك ، فأنت زَمِنُ^(٣) الهمة ، مُقَعْدُ العزيمة ، جامد الفكرة ، فاسد الفطرة ، قد انعكس ذوق فهمك ، فرأيت الحَسَنَ قبيحاً والقبيح حسناً ، فأفسدت صحيح عملك وعلمك ، ولودخلت إلى يمارستان^(٤) التقوى ، وعرضت على قارورة^(٥) البلوى ، ورفعت قصة الشكوى إلى طبيب يعلم السرَّ والنجوى ، ومددت إليه كفَّ ذلك ليجسَّ نبض علتك ، وينظر في سجيتك ، فيعلم حقيقة محتكك ، فيُسَلِّمك إلى قيم مؤدب الشرع ، فيعقلك بعقل العقل ، ويضربك بسياط الخوف ، ويروِّحك بمروحة الرجاء ، ثم يحميك في حمى الحماية ، ويكتب في دستور علاجك بإصلاح مراجك ، فيعبئ لك من عَنَاب العناية ، ويسقيك من ثمر هندی الهداية ، وإجاص^(٦) الإخلاص ، وبنفسج الرجاء ، وأهليلج الالتجاء ، وخيار شنبر الأخيار ، ومحمودة التوكل ، ويرضُّ الجميع على أرض الرضا ، ويدقُّ على هاون الصبر ، وينخل بمنخل الورع ، ويصفى على سكر الشكر ، ويستعمل بعد الحمية في خلوة السَّحَر ، بحضرة الطبيب ، وخلوة الحبيب ، وغفلة الرقيب ، لعله يسكن من قلبك الوجيب^(٧) ، ويبرد من فؤادك اللهب ، ويُردَّ القلب السَّليب ، فيعتدل المزاج ، وتبرد حرارة الأوهاج ، يطيب الشراب ، فتنضج علتك ، وينفتح سمع يقظتك ، ويُفتح لك الباب ، فتسمع نداء :

-
- (١) رعونتك : (الرُّعُونَة) الحمق والاسترخاء ، ورجل (أَرْعَنُ) وامرأة (رَعْنَاء) .
(٢) برسمتك : (البرسام) ورم حازَّ في الحجاب المعترض بين القلب والمعدة يحصل معه الهديان .
(٣) زَمِنٌ : (الزَّمانَة) آفة في الحيوانات ، ورجل (زَمِنٌ) أى مبتلى بين الزَّمانَة .
(٤) يمارستان : مستشفى .
(٥) عرض القارورة عند الأطباء القدامى ، يعنى تقديم عينة من البول لفحصها .
(٦) إجاص : (الإجاص) دخيل ، لأن الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة واحدة عند العرب .
الواحدة (إجاصة) ولا تقل : إنجاص .
(٧) الوجيب : (وَجِبٌ) القلب (وَجِيئاً) اضطرب .

هل من داع فأستجيب له^(١) ؟ ، ويستنير بصر بصيرتك ، فتشاهد حينئذ كل معنى غريب ، وترى كل شيء عجيب . أما ترى إلى الهدهد لما حَسُنَتْ سيرته ، وصفت سريره ، كيف نفذت بصيرته ، فتراه يشاهد بالبصيرة ما تحجبه الأرض عن سائر البشر ، فيرى في باطنها الماء الشجاج^(٢) ، كما تراه أنت في الزجاج ، فيقول بصحة ذوقه : هذا عذب فُرات سائغ^(٣) شرابه ، وهذا ملح أجاج^(٤) ، ولسان حاله يقول ، لمن له ذوق وإدراك ومعقول : أنا الذي أوتيت مع صغر الجثمان ما لم يؤته الله لنبيه سليمان ، هو أُعطي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده ، وأنا أوتيت علماً لا يعلمه هو ولا أحدٌ من جنده . كنت معه حيث ما سرى وجدَّ به السرى ، أدلّه على الماء من تحت تخوم^(٥) الثرى ، فغبت عنه ساعة ، فعجز عن الاستطاعة ، فعرض أتباعه وأشياعه أجمعين ، وقال : ﴿ ... مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾^(٦) ، والعجب أنه افتقدني حالة افتقاره إليّ ، ثم تهددني بسطوة اقتداره عليّ ، فقال : لأعدّنه أو لأذبحنّه ، والقدر يقول : لأقرّبه ولأهدينّه .

فلما جئت من سبأ نبأ يقين ، وقلت : أحطت بما لم تُحط به ، زاد ذلك في غضبه ، وقال : يا صغير الجِزْم ، يا كبير الجِزْم ، أما كفاك غيبتك

(١) فيه إشارة إلى الحديث القدسي : « ينزل ربنا - عزَّ وجلَّ - كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : هل من داع فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له ... » رواه البخاري (٨٨/٨) ، ورواه مسلم في صلاة المسافرين (١٦٨) ، ورواه الإمام أحمد (٢٦٤/٢) ، (٢٦٧) ، وراه الترمذي (٣٤٩٨) .

(٢) الشجاج : (تَج) الماء سيّله ، ومطر (تَجَّاج) أي منصب جدًّا .

(٣) سائغ : (سَاغ) الشراب سهّل مدخله في الحلق ، و (ساغه) غيره ، و (أساغه) غيره . قال الله تعالى : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ [إبراهيم : ١٧] .

(٤) أجاج : ماء (أجاج) أي يُلخ مُرٌّ . وقد (أَجَّ) الماء يُؤجج (أوججاً) بالضم .

(٥) تخوم : (التَّخْم) بالفتح منتهى كل قرية أو أرض ، وجمعه (تُخُوم) . قال الفراء : تخوم الأرض حدودها .

(٦) سورة النمل : الآية (٢٠) .

عنى ، حتى تدعى أنك أعلم منى ، فقلت : الأمان يا سليمان ، أنت سألت ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدك ، ما سألت علماً لا ينبغي لأحد من بعدك ، وقد جئتك من سبأ بالنبأ العظيم ، وفوق كلِّ ذى علمٍ عليم^(١) ، فقال : أيها الهدهد من صحَّ له السلوك أو تمن على أسرار الملوك ، اذهب بكتابتى ، وعجل بجوابى ، فذهبت بكتابه ، وعجلت بجوابه ، فقرَّبنى إلى جنابه ، وكتبنى من حُجَّابه ، بعد أن كنت من وراءِ حِجَّابه ، ثم كسانى من ملابس الكرامة تاجاً ، وكنت إلى ذلك محتاجاً ، ثمَّ نُسِخت أحكام ذبحى ، وتُليت آيات مدحى^(٢) ، فإن كنت ممن يقبل نُصحى ، فحسِّن سيرتك ، وصفِّ سريرتك ، وطيب أخلاقك ، وراقب خلاقك ، وتأدِّب بأحسن الآداب ، ولو أنها من الدواب ، فإنه من لم يأخذ إشارته من صرير الباب ، ولم يعتبر بطنين الذباب ، ونباح الكلاب ، وحشرات التراب ، ويفهم ما تشير به السحاب ، ولم الشراب^(٣) ، وضياء الضباب ، فليس من ذوى الألباب ، وفى ذلك أقول :

مَنْ لَمْ يَصُنْ سِرَّ مَوْلَاهُ وَسَيِّدِهِ لَمْ يَأْمَنُوهُ عَلَى الْأَسْرَارِ مَا عَاشَا
وَعَاتَبُوهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ زَلِّ وَأَبْدَلُوهُ مَكَانَ الْأَنْسِ إِيْحَاشَا

* * *

(١) فيه إشارة إلى الآية ٧٦ من سورة يوسف .

(٢) فيه إشارة إلى قصة سيدنا سليمان - عليه السلام - مع النملة التى وردت فى سورة النمل ، يقول الله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبْنَهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحْنَهُ أَوْ لْيَأْتِنِى بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ .

(٣) الشراب : الذى تراه نصف النهار كأنه ماء .

إِشَارَةُ الْكَلْبِ (*)

فبينما أنا منصت لسماع الجواب، إذ ناداني كلب من الكلاب، واقف على الباب، يلتقط ما يسقط على المزابل من دقيق اللباب، فقال لي: يا من هو من وراء الحجاب، يا محجوباً عن مسبب الأسباب، يا مُسْبِلاً^(١) ثياب الإعجاب، تأدّب بآدابي، فإن فعل الجميل دأبي^(٢)، وشُسُّ^(٣) نفسك بسياستي، وما عليك من نخساستي^(٤)، فإن كنت ترانى فى الصورة حقيراً،

(*) الكلب: من الحيوانات ذات اللحال الحسنه، وأظهر ما فيه من تلك اللحال خلة الوفاء لصاحبه، والقيام على ماله، وملازمة داره، والذود عنه بنفسه. وهو ذكى جداً، ومحب لسيدته، يجرى مسافات شاسعة بدون كلال، ويحسن السباحة، وهو قليل العرف، كما أنه شديد الحس بالشم. تحمل أنثاه (٦٣) يوماً، وتلد من جروين إلى اثنى عشر جرواً، ويبلغ الجرو أشده فى سنتين، ولا يزيد عمر الكلب عن (٢٠) سنة. قال الدميرى: وفى الكلب من اقتفاء الأثر وشم الرائحة ما ليس لغيره من الحيوانات، وهو أيقظ الحيوانات عيناً فى وقت حاجته إلى النوم، وغالب نومه نهاراً، وهو فى نومه أسمع من فرس وأحذر من عقعق.

والكلب يجمع على: أكلب، وكلاب، وكليب. والكلبة أنثى الكلاب، وجمعها كليات. والكلاب نوعان: أهلى وسلوقى، نسبة إلى سلوق (بالفتح) أرض باليمن، وكلا النوعين فى الطبع سواء.

قال أبو البحر جعفر بن محمد الحظى فى كلاب الصيد:

ولم أرَ كالكِلابِ ذواتِ عَدُوٍ على أثرِ الأَرانِبِ والظُّبائِ
متى أُرْسَلْتَهُنَّ وراءَ صَيْدِ فَجاذِبُهُنَّ أَهدابَ النُّجاءِ
عَلِقْنَ بِهٖ وَلَوْ كَانَتْ يَداهُ تُشَدُّ بِذَيْلِ عاصِفَةِ الهَواءِ

(١) مسبلاً: (أَسْبَلَ) إزاره: أَرْخاهُ.

(٢) دأبى: (دَأَب) فى عمله: جدّ وتعب، فهو (دائب) و(الدَّأْبُ) بسكون الهمزة:

العادة والشأن.

(٣) شُسُّ: (سَسَّ) الرعية يَشُوسُها (سَيَّاسَةً) بالكسر.

(٤) نخساستى: (النخساستى) الدنيئ. وقد (نَخَسَ) يَخْسُ بالفتح (نَخْسَةً)، و(نَخْسَاسَةً)

و(اشْتَخَسَهُ) عده خسيساً.

فإني في المعنى فقيراً ، لا أزال واقفاً على أبواب سادتي ، غير راغب في سيادتي ، ولا أتغير عن عاداتي ، ولا أقطع عنهم موداتي ، وأحامي عنهم بنفسي ، ولا أخاف رمسي^(١) ، أترد مراراً فأعود ، وأضرب ولست بالحقود ، فأنا الصَّاحِبُ الودود ، الباقي على حفظ العهود ، أقوم إذا كانت الخلائق^(٢) رقوداً وأصوم إذا رأيت الخِوَانَ^(٣) ممدود ، وليس لي مالٌ معدود ، ولا وقت موعود ، ولا سِمَاطٌ^(٤) ممدود ، ولا رباط معهود ، ولا مقام محمود ، إن أعطيت شكرت ، وإن مُنعت صبرت ، لا أرى في الأوقات شاكياً ، ولا على ما فات باكياً ، إن مرضت فلا أعاد^(٥) ، وإن متُّ فلا أحمل على أعواد ، وإن غبت فلا يقال : ليتهُ عاد ، وإن سافرت فلا أستصحب الزاد ، لا مالٌ لي يُورث ، ولا عقار يُخرث ، إن فقدت فلا يُكي عليّ ، وإن وُجدت فلا يُهشَّ^(٦) إليّ ، وإن مرضت فلا يُمشي إليّ ، وأنا مع ذلك أحوم حول جماهم ، وأدوم على ولاهم ، عاكف على مزابلهم ، قانع بطلهم دون وابلهم ، فإن كانت صورتى ذميمة ، فإني قانع بلقيمة^(٧) ، فإن أنت أعجبتك خِلالى^(٨) ، فاتبع أحوالى ، وإن أردت وفاقى فتخلق بأخلاقى ، وقل : سبحان الباقي ، تصير إلى العُلا راقى ، وفي ذلك أقول :

-
- (١) رَمَسِي : (رَمَس) الميت : دفنه ، و (أَرَمَسَهُ) أيضاً ، و (الرَّمَس) تراب القبر ، و (المَرَمَسُ) موضع القبر .
- (٢) الخلائق : (الخَلِيقَة) هم خليقة الله وهم خلق الله ، والجمع (الخلائق) .
- (٣) الخِوَانُ - بالكسر - : الذي يؤكل عليه .
- (٤) سِمَاطٌ : (السَّمَط) الخيط مادام فيه الخرز وإلا فهو سلك ، و (السَّمَط) أيضاً واحد (السَّموط) وهي السيور التي تعلق من السرج .
- (٥) أعاد : (عُدْتُ) المريض أعوذه (عيادةً) بالكسر .
- (٦) يُهشُّ : (الهَشَاشَة) بالفتح : الارتياح والخفة للمعروف ، وقد (هَشَّ) به يَهشُّ بالفتح (هَشَاشَةٌ) إذا خف إليه وارتاح له ، ورجلٌ (هَشَّ) وشيءٌ هَشَّ ، و (هَشِيشٌ) أى رخو لين .
- (٧) لقيمة : تصغير لقمة ، يقال : (لَقِمَ) .
- (٨) خِلالى : (الخَلَّة) بالفتح : الخصلة .

أَنَا كَلْبٌ حَقِيرٌ قَدْرًا وَلَكِنْ
فَتَعَلَّمُ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي
أَحْفَظُ الْجَارَ فِي الْجَوَارِ وَدَأْبِي
وَتَرَائِي فِي كُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ
لَا يُبَالِي عَلَيَّ إِنْ مِتُّ جُوعًا
لَا يَرَانِي إِلَّاهُ أَشْكُوا لِحَلْقِي
أَحْمِلُ الضَّيْمَ مِنْهُ صَوْنًا لِسْرِي
فِيخَالِي عَلَيَّ خَسَاسَةَ قَدْرِي
لِي قَلْبٌ نَحَالٍ مِنَ الْأَدْغَالِ (١)
وَتَمَسَّكَ إِلَى الْعُلَا بِحِبَالِي
أَنْ أُحَامِيَ عَلَيْهِمْ فِي اللَّيَالِي
صَابِرًا شَاكِرًا عَلَيَّ كُلِّ حَالٍ
أَوْ سَقَتْنِي الْأَيَّامُ مَرَّ النَّكَالِ
إِذْ عَلَيَّ اللَّهُ فِي الْأُمُورِ اتِّكَالِي
وَفِرَارًا مِنْ مَرَّ ذُلِّ السُّؤَالِ
فِي الْمَعَالِي يَفْقَنُ كُلَّ الْخِلَالِ

* * *

(١) الأدغال : (الدُّغْل) بفتحين : الفساد .

إِشَارَةُ الْجَمَلِ (*)

فنادانى الجملى حينئذٍ وقال : أئبها الراغب فى السلوك ، المتأدب بآداب الملوك ، إن كنت تعلمت من الكلب زهداً وفقراً ، فتعلم منى جلدأً وصبراً ، فإنه من توسد^(١) الفقر وجب عليه معانقته ، فإن الفقير الصابر هو المعدود من الأكابر ، وهو خير من الغنى الشاكر . ها أنا ذا أحمل الأحمال الثقال ، وأقطع بها المراحل الطوال ، وأكابد^(٢) الكلال^(٣) ، وأصبر على مؤر

(*) الجملى : حيوان عظيم الجسم ، شديد الانقياد ، ينهض بالحمل الثقيل ويترك به ، ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مع مأكوله ومشروبه وملبوسه كما فى البيت ، وهو يمشى بكل هذا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧] . وربما تصير عن الماء عشرة أيام ، وإنما طولت رقبته ليستعين بها على النهوض بالحمل الثقيل ، وينال الأرض يرعى منها حالة قيامه لتكون الرقبة مناسبة للقوائم ، وليبلغ مشفره سائر جسده يحكه به . وجمع الجملى : جمال ، وأجمال ، وجمائل ، وجماليات . قال تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات : ٣٣] . والجملى البازل ، أى الذى بلغ تسع سنين أو الجملى الجذع ، أى الذى بلغ خمس سنين يقع على الذكر والأنثى ، والجملى هو بمنزلة الرجل ، والبقاة بمنزلة المرأة . وصفات الجملى كثيرة ، منها :

* العوجاء : أى الضامرة . قال الحطيئة :

فَمَا زَالَتْ الْعَوْجَاءُ تَجْرِي طُفُورَهَا إِلَيْكَ ابْنِ شَمَّاسٍ تَرْوُحٌ وَتَغْتَدِي

* الحزجوج : الضامرة ، وكذلك المقورة . قال سحيم :

فَقَرَّبْتُ نَفْسِي وَاجْتَنَبْتُ غَوَاتِي وَقَرَّبْتُ حَزْجُوجَ الْعَشِيَّةِ نَاجِيَا

وقال ديك الجن :

وَرُبَّ مَقُورَةٍ مُلْمَلَمَلَةٍ فِي غَارِضٍ لِلْحَمَامِ مُنْسَكِبِ

* العيرانة : أى الصلبة . قال الشاعر بشامة بن القدير :

فَقَرَّبْتُ لِلرَّجُلِ عَيْرَانَةَ عَذَابَةَ عَنْتَرِيَا ذَمُولَا

مُدَاخِلَةَ الْخَلْقِ مَضْمُورَةَ إِذَا أَخَذَ الْحَاقِقَاتُ الْحَقِيلَا

(١) توسد : استعار هذا التشبيه للدلالة على أن الفقر قد أصبح رفيقه وتحت رأسه كأنه مخدة ،

يقال : (وَسَدْتُهُ) الشيء (تَوَسَّدْتُ بِهِ) إذا جعلته تحت رأسه .

(٢) أكابد : (كَابَدَ) الأمر قاسى شدته .

(٣) الكلال : (كَلَّ) الرجل ، والبعير من المشى يكل (كَلَّالًا) و (كَلَّالَةٌ) أيضاً : أى أعيا .

النكال^(١)، ولا يعتريني من ذلك ملال^(٢)، لا أصول صولة الإدلال^(٣)، بل أنقاد للطفل الصغير، ولو شئتُ استصعبت على الأمير الكبير، فأنا الذَّلُول^(٤)، وللأثقال حَمُول، لستُ بالخائن، ولا الغُلُول^(٥)، ولا الصائِل^(٦) عند الوُصول، ولا المائل عند القفول، أقطع في الوحول^(٧)، ما يعجز عنه الفحول، وأصابِر الظمأ في الهواجر^(٨) ولا أحول^(٩)، فإذا قضيت حق صاحبي، وبلغت مآربي^(١٠)، ألقىتُ جبلي على غاربي^(١١)، وذهبت في البوادي،

- (١) النكال : (التكل) القيد ، وجمعه (أنكال) .
(٢) ملال : (مل) الشيء ومل من الشيء يَمَلّ بالفتح (مَلَلًا) و (مَلَّةً) و (مَلَالَةً) أيضاً : أى سئمه . و (استَمَلَّ) بمعنى ملّ ، ورجل (مَلَّ) و (مَلُولٌ) و (مَلُولَةٌ) وذو (مَلَّة) وامرأة (مَلُولَةٌ) .
(٣) الإدلال : الثقة ، يقال : فلان (يُدَلُّ) بفلان : أى يثق به . قال أبو عبيد : (الدَّل) قريب المعنى من الهذى وهما من السكينة والوقار فى الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك .
(٤) الذَّلُول : (الذَّل) بالكسر : اللين ، وهو ضد الصعوبة ، يقال : دابة (ذَلُول) بينة (الذَّل) من دواب (ذُلُّ) و (أذَّله) و (ذلَّه تَذليلاً) و (استذَّله) كله بمعنى واحد .
(٥) الغلُول : (الغِلَّ) بالكسر : الغش والحقد أيضاً . وقد (غَلَّ) صدره يَغَلُّ بالكسر (غَلًّا) إذا كان ذا غشٍّ أو ضغين أو حقيد .
(٦) الصائِل : الواثب ، يقال : (صال) عليه اشتصال وصال عليه وثب ، و (صَوَّلَةٌ) أيضاً و (المُصاولَة) الموائبة ، وكذلك (الصيَّال) و (الصَّيَالَة) .
(٧) الوحول : (الوَحَل) بفتح الحين : الطين الرقيق ، و (المَوْحَل) بفتح الحاء : المصدر وبكسرهما المكان ، ويقال : (وَجَلَّ) الرجل بالكسر يَوْحَل (وَحَلًّا) و (مَوْحَلًّا) أيضاً بفتح الحاء .
فيهما : أى وقع فى الوحل .
(٨) الهواجر : (الهَاجِرَة) و (الهَاجِرُ) نصف النهار عند اشتداد الحر ، و (التَّهْجِير) ، و (التَّهْجُر) السير فى الهاجرة .
(٩) أحول : (حَالٌ) عن العهد تحول (حُوُولًا) انقلب ، و (حَالٌ) إلى مكان آخر يَحُول (حَوُولًا) ، و (حَوُولًا) بكسر الحاء وفتح الواو : أى تحول .
(١٠) مآربي : حاجتى ، يقال : (الإرب) الحاجة ، وكذا (الإزبة) و (الأرب) بفتح الحين و (المآزبة) بفتح الراء وضمها .
(١١) غاربي : (غَرَبٌ) كل شيء حدّه ، و (الغارب) ما بين السنام إلى العنق ، ومنه قولهم : حَبَلُكَ عَلَى غَارِبِكَ : أى اذهبى حيثُ شئتِ ، وأصله أن الناقة إذا رعت وعليها الخطام ألقى على غاربها لأنها إذا رآته لم يهتها شيئاً .

أكتسب من المباح زادى ، فإن سمعت صوت حادى ، سلمت إليه قيادى ،
 وواصلت فيه شهادى^(١) ، وطلقت طيب رقادى ، ومددت إليه عنقى لبلوغ
 مرادى ، فأنا إن ضللت فالدليل هادى ، وإن ذللت أخذ بيدي من إليه
 انقيادى ، وإن ظمئت فذكر الحبيب مائى وزادى ، فأنا المسخر لكم بإشارة
 ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا يَشِقُّ الْأُنْفُسُ ﴾^(٢) ،
 فلم أزل بين رحلة ومقام ، حتى أصل إلى ذلك المقام ، وفى ذلك أقول :
 يَا عَذُولِي^(٣) سَلِّمِ الْمَحَبَّ قِيَادِي ثُمَّ دَعْنِي فَمَا عَلَيْكَ رَشَادِي
 حُبُّهُ رَاحَتِي وَرَوْحَ حَيَاتِي وَكَذَا ذِكْرُهُ بَلَغِي وَزَادِي
 فَإِذَا مَا ضَلَلْتُ أَوْ ضَلَّ رَكْبٌ عَنْ حِمَاهُ فَوَجَّهْ لِي حَادِي
 يَا عَذُولِي سَلِّمِ إِلَيَّ قِيَادِي ثُمَّ دَعْنِي فَمَا عَلَيْكَ رَشَادِي
 إِنْ تَلَمَّنِي أَوْ لَا تَلَمَّنِي فَإِنَّ حُبُّهُ مَذْهَبِي وَأَصْلُ اعْتِقَادِي

* * *

(١) سهادى : (الشهاد) الأرق ، و (سَهْدَه تَشْهِيدًا) فهو (مُسَهَّد) .

(٢) سورة النحل : الآية (٧) .

(٣) عذولى : (العذل) الملامة . وقد (عَذَلَه) والاسم (العذل) بفتحين ، وقد (عَذَلَه

فاعتذل) أى لام نفسه وأعتب .

إِشَارَةُ الْفَرَسِ (*)

فقال الفرس : أيُّها الفقير الصابر ، الطالب سُئِلَ المفاخر والمآثر ، تعلّم منى صدق الطلب ، وحسن الأدب لبلوغ الإرب^(١) ، ها أنا أحمل مُباهلى^(٢) على كاهلى^(٣) ، فأجتهد به فى السير ، وأنطلق به مسرعاً كالطير ، أهجم هجوم الليل ، وأقتحم اقتحام السيل ، فإن كان طالباً أدركَ بى طلبه ، وبلغ بى أربه ، وإن كان مطلوباً قطعت عنه طالبه ، وجعلت أسباب الردى^(٤) عنه مُحتجبة ، فلا يُدرك منى إلا الغبار ، ولا يسمع عنى إلا الأخبار ، فإن كان الجمل هو الصّابر المجرب ، فأنا المجتبى^(٥) المقرب ، وإن كان هو للقصد لاحق ، فأنا المقرب السابق ، فإذا كان يوم اللقاء^(٦) قَدِمْتُ إقدام الوالِه^(٧) ، وسبقت العدو مواقع نِياله^(٨) ، والجمل متخلف لثقل أحماله ، وهو مُعاق لنفيس ما فى رحاله ، ورأيت ثمّ حقوقاً لا يستوفىها إلا كل مُوفٍ ، وطريقاً

(*) الفرس : واحد الخيل ، والجمع أفراس . الذكر والأنثى فى ذلك سواء وأصله التأنيث ، والذكر حصان ، وجمعه حُصْن ، وأهم ألوان الخيل : الأشقر ، والأشهب ، والأصفر ، والكميت . قال عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - :

أَجْبُوا الخيل واضطَبِرُوا عليها فَإِنَّ العِزَّ فيها والجَمَلا
إِذَا ما الخيل ضيَعها أناسٌ رَبَطْنَاهَا فَأشْرَكَتِ العِيالا
نَقَاسِئُهَا التَّعِيشَةَ كُلَّ يَوْمٍ وَنَكَشَوْهَا البراقِعِ والجِلالِ

(١) الإرب : الحاجة .

(٢) مباحلى : (المُبَاهَلَةُ) الملاءنة . والمعنى : أى أحمل من دائماً يضربنى ويشتمنى .

(٣) كاهلى : (الكاهل) ما بين الكتفين .

(٤) الردى : الهلاك ، و (رَدَى) أى هلك ، و (أَرْدَاهُ) غيره : أى أهلكه غيره .

(٥) المجتبى : (اجْتَبَاه) اصطفاه .

(٦) يوم اللقاء : يوم المعركة والالتحام . (٧) الوالِه : العاشق .

(٨) نباله : (النَّبَل) السهام العربية ، وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، وقد جمعوها على

(نِيَال) و (أَنْبَال) .

لا يبلغها إلا كلُّ مُخِفٍّ ، فلذلك شَمَّرت عن ساق ، وتضمَّرت^(١) ليوم
السباق ، وقل لمن أسكره الطيش فما أفاق ، وغرَّه العيش الذى قد راق :
ما عندكم ينفد وما عند الله باق^(٢) ، فيامن هو عن المراد مردود ، وفي
الطراد مطرود ، هلاً نظرت إلى الوجود وما فيه موجود ، وفهمت المقصود ،
وأقمت على نفسك الحدود ، وأوثقت جوارحك بالقيود ، وذكرت الأجل
المحدود ، وخشيت اليوم الموعود ، ها أنا لَمَّا أوثق سائقي قيدي ، أمين قائدى
كيدي ولكم أَكَلَّ سائقي من صيدي ، وكم لى على سائقي من أيدي ،
أوثقت بِشِكالى^(٣) ، لكيلا أصول على أشكالى ، وأخذت بعناني^(٤) ،
كيلا أنطلق إلى غير ما عَناني ، وألجمت بلجامي ، كيلا يفسد على صيامي ،
وألزمت بحزامي^(٥) ، كيلا أغفل عن قيامي ، وأنعلت^(٦) بالحديد أقدامي ،

(١) تضمَّرت : (الضُّمَّر) بسكون الميم وضمها : خفة اللحم . وقد (ضَمَّر) الفرس ،
و(ضَمَّر) أيضاً بالضم (ضُمراً) فهو (ضَامِرٌ) فيهما و(أضَمَّره) صاحبه و(ضَمَّره) تضميراً
فأضَمَّرَ هو وناقته (ضَامِرٌ) و(ضَامِرَةٌ) و(تَضْمِير) الفرس أيضاً : أن تعلقه حتى يسمن ثم ترده
إلى الفوت وذلك فى أربعين يوماً ، وهذه المدة تسمى (المِضْمَار) والموضع الذى تضمَّر فيه الخيل
أيضاً (مِضْمَارٌ) .

(٢) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة النحل ، الآية (٩٦) : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ... ﴾ .

(٣) شكالى : (الشُّكَال) العِقال ، والجمع (شُكُلٌ) ، وفى الحديث : أن النبى ﷺ كره
الشكال فى الخيل ، وهو أن تكون ثلاث قوائم وواحدة مطلقه أو ثلاث قوائم مطلقه ورجل محجلة ،
ولا يكون الشكال إلا فى الرجل . والفرس (مَشْكُولٌ) وهو مكروه ، و(شَكَل) البطائر والفرس
بالشُّكال .

(٤) عناني : (العِنَان) للفرس اللجام ، وجمعه (أعِنَّة) .

(٥) حزامي : (حِزَامٌ) الدابة والفرس ما يربط به رأسه وظهره وبطنه . وقد (حَزَمَ) الدابة ،
ومنه (حِزَامٌ) الصبى الذى يربط به فى مهده .

(٦) أنعلت : (النَّعْلُ) الحذاء وهى مؤنثة وتصغيرها (نُعَيْلَةٌ) نقول : (نَعَلٌ) و(انْتَعَلَ) أى
احتذى ، ورجل (نَاعِلٌ) أى ذو نعلٍ ، و(أَنْعَلَ) خفه ودابته ، ولا يقال : نَعَلَ .

كيلا أِكْلٌ^(١) عن إقدامي ، فأنا الموعودُ بالنجاة ، المعدود لاكتساب المال
والجاه ، المشدود للسلامة ، المقصود للكرامة ، وقد أجزل المنعم على إنعامه ،
وأمضى بالعناية الأزلية أحكامه ، بأن الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم
القيامة^(٢) ، تُخلقتُ من الريح ، وأُلهمت التقديس والتسبيح ، وما برح
ظهري عزاً ، وبطني كنزاً ، وضحبتى حرزاً^(٣) ، فكم ركضت في ميدان
السباق وما أبديت عجزاً ، وكم ألبست من ملابس أهل الشقاق خزاً^(٤) ،
وكم حَزَزت رؤوس أهل النِّفاق خزاً ، وكم أخليت منهم الآفاق ، هل تحسُّ
منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً^(٥) .

وفي ذلك أقول :

لَهُ صَدْرٌ طَاوُوسٍ وَسَاقٌ نَعَامَةٍ وَوَثْبَةٌ فَهْدٍ وَالتِّفَاقُ غَزَالٍ
وَأَحْسَنُ مِنْ خَيْلٍ تَشَدُّ بِأَرْجُلِي نَخَطُ هِلَالًا مِنْ وَرَاءِ هِلَالٍ
قلت أيضاً :

وَكأَنَّمَا نَقَشَتْ حَوَافِرُ خَيْلِنَا لِلنَّاطِرِينَ أَهْلَةً فِي الْجِلْدِ
وَكأَنَّ طَرْفَ الشَّمْسِ مَطْرُوفًا وَقَدْ جَعَلَ الْغُبَارُ لَهَا مَكَانَ الْإِثْمِدِ^(٦)

* * *

(١) أِكْلٌ : (كَلَّ) الرجل والبعير من المشى يكلُّ (كَلَّالًا) و (كَلَّالَةٌ) أيضاً : أى أعيا ، يقال :
(أَكَلُّ) الرجل بعيره أعياه .

(٢) فيه إشارة إلى الحديث الشريف : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » رواه
البخارى (٣٤/٤) ، ورواه الترمذى (١٦٣٦) ، ورواه الإمام أحمد (٤٩/٢) .

(٣) حرزاً : (الجرز) الموضع الحصين ، يقال : هذا (جِرْزٌ حَرِيْزٌ) ويسمى التعويد (جِرْزاً)
و (اِحْتَرَزَ) من كذا ، و (تَحَرَّزَ) منه : أى توقاه .

(٤) خزاً : (الحَزُّ) واحد (الحُزُوز) نوع من الثياب .

(٥) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة مريم ، الآية (٩٨) : ﴿ ... هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ
أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ .

(٦) الإثمد : حجر يكتحل به .

إِشَارَةُ الْفَهْدِ (*)

فقال الفهد : تعلم منى حُسن الأنفة ، والأخلاق الصلِفة^(١) ، فأنا لست في الطلب كالفرس ، ولا كالأسد إذا افترس ، أنا لعلو همّتى ، وسمو عزيمتى ، أراقب مطلوبى ، وأجالس محبوبى ، وأراوغ صيدى بمراوغة كيدى ، فإن لم أدركه فى أول وثبة ، غضبت على نفسى غضبة وأى غضبة ، فيترضانى أهلى فلا أرضى ، ويصيرون لى فى التلطف أرضاً ، وما غضبى إلا من التقصير ، والساعد القصير ، فيجب على من استوثب نفسه على المكارم فنكصت^(٢) ، ودعاها إلى الكمال فنكصت ، أن يغضب عليها الأئيف ، ثم يعود إلى التوبة سريعاً ويستأنف ، ولا يرضى لها بالهمة

(*) الفهْدُ : حيوان من ذوات الثدي ، يستأنس ويمرن على الصيد على ما ينبغى ، وهذا ما يجعله أقرب شبيهاً بالكلب . قال الدميرى : مزاج الفهد كمزاج النمر ، وفى طبعه مشابهة لطبع الكلب ، ويضرب بالفهد المثل فى كثرة النوم ، وهو ثقيل الجثة يحطم ظهر الحيوان فى ركوبه ، ومن خُلِّقه الغضب ، وإذا وثب على فريسة لا يتنفس حتى ينالها فيحمى لذلك ، وتمتلىء رئتيه من الهواء الذى حبسه ، ومن خلقه أن يأنس لمن يحسن إليه ، والجمع : أفهد ، وفهود ، والأنثى فهدة ، والفهاد : صاحبه ومعلمه .

قال عبد الله بن المعتز :

ولا صَيْدٌ إِلَّا بِوُثَابَةٍ تَطِيرُ عَلَى أَرْبَعٍ كَالْعَذَبِ
وإنْ أُطْلِقَتْ مِنْ قِلَادَاتِهَا وَطَارَ الْغُبَارُ وَحَدَّ الطَّلَبِ
فَزَوْبَعَةٌ مِنْ بِنَاتِ الرِّيَّاحِ تُرِيكَ عَلَى الْأَرْضِ شَدًّا عَجَبِ
تَضُمُّ الطَّرِيدَ إِلَى نَحْرِهَا كَضْمِ الْمُحِبِّ لِمَنْ قَدْ أَحَبِ
إِذَا مَا رَأَى عَذْوَهَا خَلْفَهُ تَنَاجَتْ ضَمَائِرُهُ بِالْعَطَبِ

(١) الصلِفة : قال الخليل : (الصلْف) مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً ، فهو رجل (صليْف) وقد (تصلّف) .

(٢) نَكَصَتْ : (النُّكُوص) الإحجام عن الشيء ، يقال : (نكص) على عقبيه : أى رجع .

الدنيّة^(١) ، ولا بالأحوال الرديّة^(٢) ، ولا يرضى عنها بتخليط النية ، ثم إن
 فيّ لطيفة مَعْنَى ، يفهمها من كان معنا ، وذلك أنه ربما اعترانى من التخليط
 سِمْنٌ ، فيغلب علىّ شحمى ، وتثقلنى كثرة دمي ولحمى ، وتؤذيني تخمة
 البِطْنَة ، وثقلة السمنة ، فأخاف أن أطلب فأدرك ، وأن ألقى فأقتنص فى
 المعرك ، فترانى منفرداً عن أبناء جنسى ، مختبئاً فى خلوتى لإصلاح نفسى ،
 فأعالج نفسى بقطع المألوف ، وترك العادة ، وأذيب شحمى بالجوع الذى
 هو مخّ العبادة ، فإذا تمّت الحمية ، وصحت البنية ، وصفا جسدى من
 العفونة ، وبرئت نفسى من الرعونة ، خرجت من عَشَى ، وقد صفا كدر
 عيشى ، فحيثما انبسطت بسطت فرشى ، وحيثما شئت نصبت عرشى ،
 فإن كنت يا هذا من رجالى ، فجل فى مجالى ، واعتصم بحبالى ، واطمس
 رسمك برسلك البالى ولا تُبالى ، وفى ذلك أقول :

أَرَاكَ مُعَذِّبِي يَا نُورَ عَيْبِي وَقَلْبِي فِيكَ قَدْ أَصْفَى الْوَدَادَا
 فَإِنْ أَرْضَاكَ إِبْعَادِي وَطَرْدِي عَلَى رَأْسِي وَلَوْ أَضْنَى الْفُؤَادَا
 فَيَا لَهِ مَا أَهْنَا مُحِبًّا إِلَى أَحْبَابِهِ أَلْقَى الْقِيَادَا

* * *

(١) الدنيّة : (الدنْيَاءُ) بالمد الخسيس الدون . وقد (دَنَأَ) يَدْنُو بِالْفَتْحِ فِيهِمَا (دَنَاءَةٌ) بِالْفَتْحِ
 وَالْمَدِّ ، وَ (دَنُوٌ) أَيْضاً مِنْ بَابِ سَهْلٍ ، وَ (الدُّنْيَاءَةُ) بِالْمَدِّ النقيصة . وقد سميت (الدُّنْيَا) لدنوها .
 (٢) الرديّة : (الرَّدِيءُ) بِالْمَدِّ الْفَاسِدُ ، وَ (أَرْدَاهُ) أَفْسَدَهُ .

إِشَارَةُ دُودَةِ الْقَزِّ (*)

ثم التفتُّ فإذا دودة القزِّ ممدودة ، وليست في الجملة معدودة ، فقالت :
تالله ليست الرجولية بالصور والهيكل ، ولا الفحولية بترك المشارب
والمآكل ، كلاً ، ولا الإيثار ببذل الآثار ، وإنما الجواد من جاد بوجوده ،
ثم أثر بحياته ووجوده ، فإن كانت خصال الخير معدودة ، فأجملها مع
دودة ، أنا في الدود كدودة^(١) ، ولأهل الودِّ ودودة ، وأنا المتولدة ، من غير

(*) دودة القز : بيض دودة الحرير أو القز تكون في حجم بزر التين ، فإذا جاء فصل الربيع
خرج من كل بيضة منها دودة ، فإذا خرج أطمع ورق التوت الأبيض فيكبر تدريجياً حتى يصير في
حجم الأصبع ، ثم ينتقل من اللون الأسود إلى الأبيض رويداً رويداً في مدة ستين يوماً ، ثم يأخذ في
النسج على نفسه ، وما الخيوط التي يخرجها من فيه إلا مادة لزجة متى لامست الهواء جفت ،
فلا يزال يخرج تلك المادة ويحيلها إلى خيوط ويلفها حول نفسه حتى يصير كهيئة الجوزة ، فينجس
فيها نحواً من عشرة أيام ، ثم ينقب تلك الجوزة ويخرج منها على هيئة فراش أبيض له جناحان
لا يسكنان من الاضطراب ، وعند خروجه يميل للتزواج فيلصق الذكر ذنبه بذنب الأنثى ويلتحمان
مدة ثم يفترقان ، فتبيض الأنثى البيض الذي تقدم ذكره على خرق بيضاء تفرش قصياً ثم يموتان .
قال الشاعر :

وَيَبِيضَةُ تَحْضَنُ فِي يَوْمَيْنِ	حَتَّى إِذَا ذَبَّتْ عَلَى رِجْلَيْنِ
وَاسْتَبَدَلَتْ بِلَوْنِهَا لَوْنَيْنِ	حَاكَتْ لَهَا خَيْسًا بِلَا نِيرِنِ
بِلَا سَمَاءٍ وَبِلَا بَابِنِ	وَنَقِيَّتَهُ بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ
فَخَرَجَتْ مَكْحُولَةَ الْعَيْنَيْنِ	قَدْ صُبِغَتْ بِالنَّقْشِ حَاجِبَيْنِ
قَصِيرَةَ ضَبِيلَةَ الْجَنْبَيْنِ	كَأَنَّهَا قَدْ قَطَعَتْ نِصْفَيْنِ
لَهَا جَنَاحَ سَابِغِ الْبَزْدَيْنِ	مَا نَبَّأَ إِلَّا لِقُرْبِ الْحَيْنِ
إِنَّ الرُّدَى كُنْجَلٌ لِكُلِّ عَيْنِ	

وقال آخر :

يُفْنِي الْحَرِيصُ لِمَجِّعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ	وَلِلْحَوَادِثِ وَالْوُرَاثِ مَا يَدْعُ
كَدُودَةِ الْقَزِّ مَا تَبْنِيهِ يُهْلِكُهَا	وغيرها بالذي تبنيه يتفجع

(١) كدودة : كثيرة الجمد والكد .

والد ، ولا والدة ، وتلك حالة على الأحوال زائدة ، أُوْخِذُ في البداية كما يأخذ الزارع البذر ، فأحضن^(١) في جيوب النساء تارةً ، وفي حُجُور^(٢) الرجال تارةً أخرى ؛ فإذا تَمَّت أيام حملي ، وأذنت القدرة بجمع شملي ، انفصل من ذلك الحمل نسلي ، وحصل من ذلك الفصل وصللي ، فأنظر في يوم ميلادي ، فلا أرى لي أباً ولا أمّاً ، ولا خالاً ، ولا عمّاً ، فتكتنفي أيدي الرجال والنساء ، بالخدمة والتربية في الصباح والمساء ، فأحتمي عن تخاليط الأغذية المؤذية ، فلا أُطعم إلاّ غذاءً واحداً ، فإذا تَمَّت أيام حولي ، وبدت قوّتي وصولي ، بادرت إلى شكر من أنعم عليّ ، ومكافأة من أحسن إليّ ، فأشعر فيما يصلح للإنسان قياماً بأمور ، هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان^(٣) ، فأبتدر من غيري دعوى ، ولا إظهار شكوى ، فأنسج بإلهام التقدير ، ما يعجز عنه أهل التدبير ، فأصل من نسج لعابي ، ما أشكر عليه بعد ذهابي ، وأستخرج من صنعة صانعي ملابس تجمل اللابس ، ومحاسن تضحك العابس ، فالملوك تفتخر بخزّي ، والسلاطين ، تتبختر في أردية قزّي ، فبي تتجدد الملاعب^(٤) ، وبنسجي تتجمل الكواعب^(٥) ، فأنا أجمل المطارف^(٦) ، وأزهي الزخارف ، فإذا كافأت من أحسن إليّ ، وأدّيت ما وجب عليّ ، جعلت بيتي المنسوج قبرى ، ومن طيّبه نشرى^(٧) ، فأضيّق عليّ حبسى ،

(١) أحضن : (الحِضْن) مادون الإبط إلى الكشح ، و (احتَضَنَ) الشيء جعله في حِضْنِهِ .

(٢) حجور : (الحُجْر) حضن الإنسان ، والهدف من حضانة البذر وضعه في حرارة ثابتة

قريبة من حرارة جسم الإنسان .

(٣) فيه إشارة إلى قول الله تعالى في سورة الرحمن ، الآية (٦٠) : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ

إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ .

(٤) الملاعب : جمع مَلْعَبَة : ثوب بلا كمّ يلعب به الصبي .

(٥) الكواعب : (كَعَبَت) الجارية بدا ثديها للنهود ، فهي (كَعَابٌ) بالفتح ، و (كاعبٌ)

والجمع (كَوَاعِبٌ) .

(٦) المطارف : أردية من خزّ مربعة لها أعلام ، وأصله بالضم ، و (استَطْرَفَه) عدّه طريفاً .

(٧) نشرى : (نَشْر) الميت فهو (نَشِيرٌ) عاش بعد الموت ، ومنه يوم (النُّشُور) ، و (أنشَرَه)

الله تعالى : أحياه .

وأهلك نفسى بنفسى ، وأمضى إلى ربي كما مضى أمسى ، ثم لم ألبث إلا أياماً قلائل ، حتى أخرج فى صورة طائر ، ليعلم كل معتبر أن الله على كل شىء قادر ، ويعلم بحالى صورة البعث والنشور ، وأن الله يبعث من فى القبور ، فأنا الذى أجود بخيرى ، وأهلك نفسى بنفع غيرى ، ثم من مذام^(١) هذه الدار ، المجدولة على الأكدار ، أننى ابتليت بحسد الجار ، وقد اعتدى على ظلماً وجار ، هذه العنكبوت الضعيفة السقيمة المخصوصة بأوهن البيوت ، تجاورنى وتجاورنى ، تقول لى نسجٌ ولك نسج ، فأمرى وأمرى مزيج ، ونحن سواء فى الحرف ، ولا فخر لك على ولا شرف ، فقلت لها : ويحك ، لا سواء بيننا ، هذا نسيجك شبكة للذباب ، ومجمع للتراب ، ونسجى زينة الكواعب الأتراب^(٢) ، ويحك أما أنت الذى نطق بوهنك الكتاب فى الأزل^(٣) ، وضرب بضعفك المثل ، وأين التكحل ، من الكحل ، وفى ذلك أقول :

إِنِّي نَسَجْتُ الْقَزَّ مِنْ لَعَابِ	سِرُّ الْإِلَهِ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ
يَا مَنْ أَتَى مَقْلَدًا فَعَالِنَا	هَلْ تَسْتَطِيعُ مَلْبَسَ الْأَثْوَابِ ؟
مَنْ لَا يَكُونُ نَافِعًا لِغَيْرِهِ	فَهُوَ الَّذِي فِيهَا ادَّعَى كَذَابِ

* * *

(١) مَذَامُ : (الذَّمُّ) ضد المدح . وقد (ذَمَّه) فهو (ذَمِيم) ، و (أذَمَّ) الرجل أتى بما يذم عليه ، والبخل (مَذْمُومٌ) بفتح الذال : أى ما يذم عليه وهو ضد المحمداً .
(٢) الْأَثْرَابُ : (التُّرْبُ) بالكسر : اللدة المتماثل ، وجمعه (أتراب) .
(٣) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة العنكبوت ، الآية (٤١) : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

إِشَارَةُ الْعَنْكَبُوتِ (*)

قالت العنكبوت : لئن كان بيتي أوهن البيوت ، وحبلى كما زعمت مبتوت ، فإن فضلى عليك فى سجلّ الكتاب مثبتوت ، فأما أنا فما لأحدٍ على مِنَّةٍ^(١) ، ولا لأمٍّ على حِنَّةٍ ، أنا من حين أولد ، أنسج لنفسي فى جميع الأوقات ، فأسلم من مِنَّةِ الآباء ، وحِنَّةِ الأمهات ، فأول ما أقصد زاوية بيت ، وإن كان خراباً فهو أحسن ما أويت ، فأقصد الزوايا ، لما فيها من الخبايا ، ولما فى سرّها من النكت والخفايا ، فألقى لعابى على حافتها ، حذراً من الخلطة وآفاتها ، ثم أفرد من طاقات غزلى خيطاً دقيقاً رقيقاً منكساً فى

(*) العنكبوت : حشرة معروفة ذكورها أصغر أجساداً من إناثها ، وهى أكالة اللحم ، فإذا انقضت على فريستها نفثت فيها سماً يوقف حركاتها ، فلا تستطيع الدفاع عن نفسها ، وهى تبيض بيوضاً تخرج منه صغارها بشكلها النهائى ، أى أنها لا تتشكل فى أطوار متعاقبة كبعض الحشرات ، وهى تغتذى من الحشرات التى تصطادها بالشبكة التى تمدّها على جدران البيوت ، فتصنع تلك الشبكة من مادة تفرزها لها غدد فى باطنها محتوية على سائل لزج تخرجه من فتحة صغيرة فيتجدد بمجرد ملامسته للهواء ويصير خيطاً فى غاية الدقة .

والعنكبوت على وزن (فَعْلَلُوت) واحدة العناكب ، وكنية ذكر العناكب : أبوخيثمة ، وأبو قشعم ، والأنثى أم قشعم . وقد ورد فى الأمثال : أغزل من العنكبوت ، أوهى من بيت العنكبوت (يضرب به المثل فى الوهن والضعف) .

قال جرير :

تَبْدُو قُتَيْبِى جَمَالاً زَانَهُ خَفِرَ إِذَا تَرَأَزَاتِ الشُّوَدِ الْعَنَّاكِيْبُ

وقال أحد الشعراء فى ذم الدنيا :

إِنَّمَا الدُّنْيَا عَنَاءٌ لَيْسَ لِلدُّنْيَا ثُبُوثٌ

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٍ نَسَجَتْهُ الْعَنْكَبُوثُ

(١) منة : (مَنْ) عليه أنعم ، و (المَنَّان) من أسماء الله تعالى ، و (مَنْ) عليه : أى (ائْتَنَّ)

عليه ، و (مِنَّةٌ) أيضاً يقال : المِنَّةُ تهدم الصنّيعة ، ورجل (مَنُونَةٌ) كثير (الامتنان) .

الهواء ، فأتعلق به مسبلاً يديّ ، ممسكاً برجلي ، فيظن الغرّ (١) بتلك الحالة ،
أننى ميّت لا محالة ، فتمرّ الذبابة بي فأختطفها بحبائل كيدي ، فأودعها
شبكة صيدى ، فإن كان لك الفخار ، فيما تنسجينه من زخارف هذه الدار ،
فأين كنت منى ليلة الغار ، وأنا أستر النبي المختار ، وأصدّ عنه صنابير
الكفار ، وأردّ عنه ما لا يردّه المهاجرون والأنصار ، فليّ عليك الشرف
والفخار مذ حجبتُ عنه الأبصار ، وكذلك رفيقه أبو بكر شيخ الوقار ،
وكذلك صاحب ذى الفقار (٢) ، الذى فداه بنفسه فى الدار (٣) ، فأنت أيها
الغرّار ، الذى هو بزخرفه غرّار ، إنما جعلت زينة للنساء الناقصات العقول ،
وللصبيان الذين لم يدركوا معقول ، وقد حُرّمت على الرجال الفحول ،
فمالك فى الحقيقة محصول ، ولا إلى الطريقة وصول ، وفى ذلك أقول :

أَيُّهَا الْمُعْجَبُ فَخْرًا	بِمَقَاصِيرِ الْبُيُوتِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا مَحَلٌّ	لِقِيَامِ وَقُنُوتِ
وَعَدَا تَنْزِلُ لَحْدًا	ضَيْقًا بَعْدَ التُّخُوتِ
بَيْنَ أَقْوَامِ سُكُوتِ	نَاطِقَاتِ فِي الصُّمُوتِ
فَاتَّخِذْ بَيْتًا ضَعِيفًا	مِثْلَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ
وَارِضْ فِي الدُّنْيَا بِشُوبِ	وَمِنْ الْعَيْشِ بِقُوتِ
ثُمَّ قُلْ : يَا نَفْسُ هَذَا	بَيْتُ مَثْوَاكِ فَمُوتِ

* * *

(١) الغرّ : رجل (غرّ) بالكسر ، و (غرير) أى غير مجرب ، وجارية (غيرة) ، و (غريزة) .
وقد (غرّ) يغرّ بالكسر (غرارة) بالفتح والاسم (الغيرة) بالكسر ، والغيرة أيضاً العفلة ، و (الغار)
بالتشديد الغافل .

(٢) ذو الفقار : اسم سيف النبي ﷺ ، ويقصد بصاحبه : الإمام على - كرم الله وجهه - .

(٣) فيه إشارة إلى ما حدث ليلة هجرة الحبيب المصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة ، حين اختفى

داخل المغارة .

إِشَارَةُ النَّمْلَةِ (*)

فبينما أنا مترددٌ بين هذه الإشارات ، متفهم لهذه العبارات ، إذ حانت منى التفاتة ساهى^(١) ، متفكر في الأحوال ما هى ، إذ رأيت نملة تتخير لنفسها المسالك ، وتتوقى في خطراتها المهالك ، فنادتني النملة : إذا رماك الدهر برمى ، فَنَمِّ له ، وإذا رأيت من تهيئاً للسير فسر قبله ، ولا تكن في تدبير عيشك أبله^(٢) ، تعلم منى قوة الاستعداد ، وتحصيل الزاد ليوم المعاد ، انظر إلى عزة عزمى ، وصحة حزمى ، وتأمل كيف شدت يد القدرة

(*) النمل : من الحيوانات التى تعيش مجتمعة تتعاون فى شؤون حياتها ، وتتساعد فى أمور بقائها ، فهى أم وشعوب كأم وشعوب البشر ، لها نظام كنظاماته ، وهى من أعجب الحيوانات وأدعاهما للتأمل .

وهو معروف بحرصه على جمع الغذاء ، يتخذ قرى تحت الأرض فيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء . والنمل واحده نَمْلَةٌ والجمع نِمال . وسميت النملة لتعملها ، وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها . كنيته : أبو مشغول .

ومما جاء عنها فى الأمثال : أجمع من نملة ، وأكسب من نملة . قال عبيد الله بن أحمد الميكالى :

أَرْضٌ مِنْ دُنْيَاكَ بِالْقَوْرِ بٍ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا
فَهَلَاكُ النَّمْلِ أَنْ يُكَّ سَى جَنَاحًا فَيَطِيرًا

وقال تاج الدين اليمنى فى منزل لأحد الشعراء كثير النمل :

مَالِي أَرَى مَنَزِلَ المَوْلى الأديبِ بِهِ نَمْلٌ تَجْمَعُ فى أَرْجَائِهِ زُمْرًا
فَقَالَ : لَا تَعْجَبَنَّ مِنْ نَمْلِ مَنَزِلِنَا فَالنَّمْلُ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَتَّبِعَ الشُّعْرَا

(١) ساهى : (السُّهُو) الغفلة . وقد (سَهَا) عن الشيء ، فهو (سَاهٍ) ، و (سَهْوَانٌ) .

(٢) أبله : رجل (أبله) بين (البَلَه) ، و (البَلَاهة) وهو الذى غلبت عليه سلامة الصدر ،

والمرأة (بَلْهَاء) ، وفى الحديث : « أكثر أهل الجنة البله » يعنى البله فى أمر الدنيا لقلة اهتمامهم بها

وهم أكياس فى أمر الآخرة . هذا هو معنى كلمة (أبله) ولكن الناس أطلقوا كلمة (أبله) على

الذى به تخلف فى عقله أو عبط .

للخدمة وسطى فاغتننى عن حَلَى وَرَبْطَى ، فأوّل ما فتحت عينيّ من فراش
العدم ، رأيتنى قائمة على باب القَدَم ، قد خَصرت يد اللطافة نُحصرى ،
لأكون من جملة الخَدَم ، ثم كُفِّتُ جمع المؤنثة لتيسير المعونة ، ثم
أُعطيت قوة الشمّة ، من الأماكن البعيدة ، فأدركت بالشّم من بُعد الفَراسِخ
ما لم يدركه ذو العلم الرّاسخ ، ثم أُلهمت بالتقدير حُسن التدبير ، فأدبّرُ
ما أحصله من الحبّ لقوتى وأجمعه فى بيوتى ، فيلهمنى فالق الحبّ
والنوى^(١) ، أن أفلق الحبّة نصفين بالسّوّا ، فإن كانت الحبّة كزبرة ، فلها
عندى حكمة مدبّرة ، وهو أن أفلقها أربع فلق بقوة رب الفلق ، لأنى إذا
فلقتها نصفين بالسوا نبتت ، وإذا فلقتها أربعاً انقطعت ، فإن خفت على
الحب فى الشتاء عفن الأرض وغلبة الرطوبة المحض أخرجته فى يوم شامس ،
لتجففه الشمس بحرّها ، فلم يزل هذا شعارى ، وذلك دأبى بين أترابى ،
وأنت تعتقده فى نقصاً ، وانهماكاً على الدنيا وحرصاً ، كلاً والله لو علمت
حقيقة أمرى لأشعت بين العالمين ذكرى ، ولأقمت فى ذلك عذرى ،
وارتفع عندك قدرى ، اعلم أنّ لله جنوداً لا يعلمها إلاّ هو^(٢) ، فجيوش
النمل تحت الأرض ، لا يحصرون بطول ولا عرض ، كلّهم قائمون فى
طاعة الله ، متوكلون عليه لا يتكلون على غيره ، ولا يلتفتون إلى سواه ،
فيقوم منهم من يريد أن يقوم عليهن ، فيستأذنهن تذلاً أن يأذن له تفضلاً ،
ليذهب فى تحصيل قوتهن ، إذ هنّ متكلات على الله فى بيوتهن ، فإن أذن
لواحدة منهن خرجت بلا خلاف ، مبايعة نفسها على التلاف ، تنشد
بلسان حالها عند ارتحالها :

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ إِنْنى مودّعٌ وَعَيْنَاى مِنْ خَوْفِ التَّفَرِّقِ تَدَمّعٌ

(١) النوى : الذى هو جمع (نواة) التمر ، فهو يذكر ويؤنث ، وجمعه (أنواء) .

(٢) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة المدثر ، الآية (٣١) : ﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ

إِلَّا هُوَ ... ﴾ .

فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَحْنُ مِثْنَا فَالْقِيَامَةُ تَجْمَعُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا جَامِعٌ وَمَفْرُقٌ وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاجِلٌ وَمُودِّعٌ

فتجتهد في سيرها ، وتحصل خيرها لنفع غيرها ، متعرضة للهلاك ،
ومصايد الأشرار ، فإما أن تهلك عطشاً أو جوعاً ، وإما أن تقع في مغارة
لا تستطيع رجوعاً ، وإما أن تطأها دابة ، أو تخطفها ذبابة ، أو يقتنصها طائر ،
أو يدوسها حيوان سائر ، فمننا من يموت على الإخلاص ، ومننا من يُقدَّر لها
الإخلاص ، فتعود إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر^(١) ، فتلقي ما معها بين أيديهم ، وتقسم عليهم من
غير خصوص ، ولا حظ منقوص ، فهذه صفات أهل الخصوص ، فإن كنت
بالقبول مخصوص ، فأنت التائب بالخصوص ، وإن كان جناح عزمك عن
العمل مقصوص ، فمالك في ديوان السابقين نصوص .

قال : فلما رأيت ما رأيت ، ووعيت ما وعيت ، وعلمت أن الكل من
عنده ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده^(٢) ، وإن من كان له حسن فكرة ،
كان له في كل نظرة عبرة ، فأياك والفترة^(٣) ، فما بعد النصح إلا ذلة
الحسرة ، وفي ذلك أقول :

اقنغ بِبَيْسِيرِ العَيْشِ مَعَ بَقْلَةٍ^(٤) فَلَيْسَ يَنْسَى رَبُّكَ التَّمْلَةَ
إِنْ أَقْبَلَ الدَّهْرُ قُمْ قَائِماً وَإِنْ تَوَلَّى مُدْبِراً نَمَ

وفي ذلك أقول أيضاً :

تَشَبَّهُ بِالرَّجَالِ وَكُنْ حَلِيماً لَعَلَّكَ أَنْ تَشُمَّ لَهَا نَسِيماً

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب ، الآية (٢٣) .

(٢) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء ، الآية (٤٤) .

(٣) الفترة : الانكسار والضعف .

(٤) بقلة : (البقل) معروف . الواحدة (بقلة) ، والبقلة أيضاً : الرجلة ، وهي البقلة الحمقاء .

و(المبقلة) موضع البقل ، وقيل : كل نبات اخضرت له الأرض ، فهو (بقل) .

وَصَاحِبُهُمْ لَعَلَّكَ تَسْتَقِيمَا
 وَزَاحِمُهُمْ وَخَيْمٌ فِي جِمَاهُمْ
 فَمَا كُلُّ الرَّجَالِ لَهُ مَكَانٌ
 وَبِالْبَابِ الشَّرِيفِ قَفِيفٌ وَلَا زَمٌ
 وَقُمْ لِحَنَابِ رَبِّكَ كُلَّ وَقْتٍ
 وَقُمْ تَحْتَ الظُّلَامِ لَهُ مُنَاجٍ
 وَأَفْلَاكِ وَأَمْلَاكِ وَمُلْكَاً
 وَرَبِّ فِي أَحَبَّتِهِ تَجَلَّأً
 وَحَيَّاهُمْ وَأَسْقَاهُمْ سَمِيرَاً
 فَمَا يَزُجَّاجَةٍ شَرِبُوهُ صَافٍ
 وَمَا طَبِخَتْ بِنَارٍ وَإِنَاءٍ
 وَلَيْسَ لَهَا أَبٌ تَعزَى إِلَيْهِ
 فَسَلِّ رَبِّ السَّمَاءِ يَسْقِيكَ مِنْهَا
 وَإِنْ تَكُ طَالِبَاً لَا شَكَّ فَاجْعَلْ
 عَسَى رَجُلٌ يَكُونُ الْخَيْرُ فِيهِ
 فَتَصْبِحُ مِنْ تَأْنِسِهِ نَدِيمَا
 وَلَا كُلُّ الرَّجَالِ يَكُونُ حَكِيمَا
 وَقُوفَكَ فِيهِ كَتَى يُزَاعِي خَدِيمَا
 فَهَذَا الرَّبُّ لَمْ يَبْرُخْ رَحِيمَا
 بِإِخْلَاصٍ تَرَى مَلِكَاً عَظِيمَا
 وَوَقْتٍ لَا تَرَى فِيهِ حَمِيمَا
 فَأَهْدَاهُمْ وَأَعْطَاهُمْ نَعِيمَا
 بِكَأْسِ الْأُنْسِ مَشْرُوبَاً قَدِيمَا
 وَلَيْسَ مَرَامُهُمْ شَيْئَاً ذَمِيمَا
 وَلَا عَصَتْ وَلَا ذَاقَتْ أَلِيمَا
 وَلَا أُمَّ وَلَا تَلِدُ عَقِيمَا
 بِكَأْسٍ كَى تَكُونُ لَهُ قَسِيمَا
 وَسَيَلَّتْكَ النَّبِيُّ الْهَادِي الْأَمِينَا (١)

* * *

(١) في هذا توسل بحضرة النبي ﷺ وفيه خلاف بين العلماء يُطلب في مظانه (المصحح) .

إِشَارَةُ الْعَنْقَاءِ

قال الشيخ قدس الله روحه ، ونور ضريحه : فى إشارة ضرب الأمثال لكم البشارة يا أهل الإشارة ، إن فهمتم رمز هذه العبارة ، فأنصتوا لضرب الأمثال المستعارة ، فالمعانى لمن عُنيَتْ ولكن الحديث لكى يا كُنَّة^(١) فاسمعى يا جاره :

اجتمع الطيور وقالوا : لا بد لنا من ملك نعرف له ونُعرفُ به ، فهلموا نطلق فى طلبه ، ونعصم بحبله ، ونعيش فى ظله ، فقد بلغنا أن فى جزائر البحر عَنقَاءَ مُغْرِبٍ ، ينفذ حكمه فى المشرق والمغرب ، فهلموا نطلق إليه ، متكلين عليه .

فقليل لهم : إن البحر عميق ، والطريق مضيق ، والسبيل سحيق ، وبين أيديكم جبال شاهقة ، وبحار مُغرقة ، ونيران مُحرقة ، ولا سبيل لكم إلى الاتصال ، ولو تقطعت بكم الأوصال ، فاقعدوا فى أوكاركم ، واعترفوا بإنكاركم ، فإن العجز من شأنكم ، والملك غنى عنكم ، وإن الله لغنى عن العالمين^(٢) ، أما سمعتم صائح الحذر يصيح ويُحذّرُكم الله نفسه^(٣) ، قالوا : صدق ولكن منادى القدر ينادى ففرّوا إلى الله^(٤) .

فطاروا بأجنحة يتفكرون فى سبيل عدلٍ ، إن أخذوا ذات اليمين أخذتهم برودة الرجا ، وإن عدلوا ذات الشمال أحرقتهم حرارة الجوى^(٥) ، فهم بين

(١) كُنَّة : الشئ نهائيه ، يقال : أعرفه كنه المعرفة .

(٢) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة العنكبوت ، الآية (٦) .

(٣) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران ، الآيات (٢٨ - ٣٠) .

(٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الذاريات ، الآية (٥٠) .

(٥) الجوى : الحرقه وشدة الوجد .

سباق ، ولحاق ، ومحاق^(١) ، واحتراق ، وتلاش ، وافتراق ، واستغراق ، حتى وصل منهم من وصل إلى جزيرة الملك ، قد سقط ريشه ، وتكدر عيشه ، وتضاعف نحوه ، وتزايد ذبوله ، وصلوا إليه خماصاً^(٢) ، بعد أن كانوا بطاناً .

فلما نظروا إلى جزيرة الملك ، وفيها ما تشتهي الأنفس ، وتلذ الأعين^(٣) ، فمن كان همته في المأكل والمشرب ، قيل لهم : كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية^(٤) ، ومن كان همته في الملابس والنفائس ، قيل لهم : يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين^(٥) ، ومن كان همته التمتع بالعرائس ، قيل لهم كذلك وزوجناهم بحور عين^(٦) .

فأما أهل الأنفة قالوا : سبحانك اللهم وبحمدك ، إذا كان ثمَّ اشتغال بمأكل ومشروب ، فمتى يتفرغ المحب للمحبوب ، ومتى ينال الطالب شرف المطلوب ؟ فالدون^(٧) كلَّ الدون ، من رضى بصفقة المغبون^(٨) ، نحن لا نريد إلا الملك ، الذي خرجنا من أجله على المحاجر^(٩) ، وقطعنا كل

(١) محاق : (مَحَقَه) أبطله ومحاه ، و (مَحَقَه) الله ذهب بيركته .

(٢) خماصاً : (الخَمَصَة) بالفتح : الجوعة ، يقال : ليس للبطنه خيرٌ من (خَمَصَة) تتبُّها . و (المَخْمَصَة) المجاعة ، وهي مصدر كالمغضبة والمعتبة . وقد (خَمَصَه) الجوع ، و (مَخْمَصَة) أيضاً .

(٣) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة الزخرف ، الآية (٧١) .

(٤) فيه إشارة إلى قول الله تعالى في سورة الحاقة ، الآية (٢٤) : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ .

(٥) فيه إشارة إلى قول الله تعالى في سورة الدخان ، الآية (٥٣) : ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ .

(٦) فيه إشارة إلى قول الله تعالى في سورة الدخان ، الآية (٥٤) : ﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ .

(٧) الدُّونُ : الحقير . قال الشاعر :

إذا ما غللاً المرءُ رامَ العللاً ويقنعُ بالدُّونِ من كان دُوناً

(٨) المغبون : (غَبَنَهُ) في البيع : خدعه . وقد (غَبِنَ) فهو (مَغْبُونٌ) ، ويقال أيضاً :

(غَبِنَ) رأيه إذا نقصه فهو (غَبِينٌ) أى ضعيف الرأي .

(٩) المحاجر : العيون ، وهي جمع (مَحَجَّر) أى العين .

حاجر ، وصابرنا ظماء الهواجر^(١) ، كيف يقول ومن يخرج من بيته مهاجر^(٢) ، ثم يشتغل بالملابس والمفاخر ، فهو الذى لا إله إلا هو ، ولا نريد إلا هو .

فقال لهم الملك : فلأى شىء جئتم ؟ وبأى شىء أتيتم ؟

قالوا : أتيناك بذلة العبيد ، وإنك لتفعل ما تريد .

فقال لهم : ارجعوا من حيث أتيتم ، أنا الملك إن شئتم أو أبيتم ، وإن

الله لغنى عنكم .

قالوا : هو الغنى ونحن الفقراء إليه ، وهو القوى ونحن الضعفاء لديه ،

فبأى قوة نرجع وقد ذهب قوانا ، وتحملت عُرانا^(٣) ، واضمحل^(٤) وجودنا

مما عرانا ؟

فقال لهم الملك : إذا صح افتقاركم ، وثبت عندى انكساركم ، فعلى

جباركم^(٥) ، اذهبوا فداووا العليل فى ظل الظليل ، وقيلوا فى خير مستقر

وأحسن مقيل^(٦) ، فمن استولت عليه حرارة الشوق فليشرب من كأس كان

مزاجها كافورا ، ومن غلبت عليه برودة الرجا فليشرب من كأس كان

مزاجها زنجبيلا ، ثم يقال للعاشق : أشرب من عين تسمى سلسبيلا ، فإذا

تمت الحمية ، وحلت البغية ، فقدموا العليل إلى طبيبه ، وقربوا المحب إلى

حبيبه ، فلقاهم نـ ، وسرورا ، ونقاهم فسقاهم شراباً طهوراً^(٧) ، فسكروا

(١) الهواجر : (الهجر) بالفتح ، و (الهاجرة) ، و (الهجير) نصف النهار عند اشتداد

الحرارة ، و (التهجير) ، و (التهجر) السير فى الهاجرة .

(٢) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة النساء ، الآية (١٠٠) : ﴿ ... وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ

بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ... ﴾ .

(٣) عرانا : قوانا . (٤) اضمحل : الشىء ذهب .

(٥) جباركم : (الجبر) أن تغنى الرجل من فقر أو تصلح عظمه من كسر . و (جبر) الله فلاناً

(فاجتبر) أى سد مفاقره .

(٦) مقيل : (القائلة) الظهيرة ، يقال : أتانا عند القائلة . وقد يكون بمعنى (القيلولة) أيضاً ،

وهى النوم فى الظهيرة .

(٧) الجمل السابقة فيها إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإنسان من الآيات (٥ ، ١٧ ، ١٨ ،

١١ ، ٢١) .

فغنى لهم فطربوا ، ثم استزاروا فزاروا ، ثم استجيبوا فطاروا بأجنحة الأنس ،
 فإذا هم فى حضرة القدس ، فسقطوا ليلتقطوا حبة المحبة ، فى مقعد صدق
 عند ملك مقتدر^(١) ، فحوصلوا حين حصلوا ، واتصلوا حين وصلوا ،
 فنظروا فإذا الحجب قد رُفعت ، والأكواب قد وُضعت ، والأحباب قد
 جُمعت ، فقل لأذنٍ قد سمعت :

يا قلبُ بُشْرَاكَ أَيَّامَ الرِّضَا رَجَعْتَ وَهَذِهِ الدَّارُ بِالْأَحْبَابِ قَدْ جَمَعْتَ
 أما ترى نسمات الحَيِّ قَدْ عَبَقَتْ أَنفَاسُهَا وَبَرُوقُ البَرْقِ قَدْ لَمَعَتْ
 فِعِشْ هَنِئاً بوَصْلِ غَيْرِ مُنْفَصِلِ مِمَّنْ تَحَبَّ فَحُجِبَ الهَجْرِ قَدْ رُفِعَتْ
 وانظرُ جَمَالَ الذى مِنْ أَجْلِ رُؤْيَيْهِ قُلُوبُ عُشَّاقِهِ مِنْ حَبِّهِ انْصَدَعَتْ

* * *

تم الكتاب^(٢) بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، على يد الفقير محمد
 ابن يحيى الربحاوى ، يوم السبت فى العشر الأخير من شهر ذى القعدة من
 شهور سنة اثنين وثمانين وتسعمائة ، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ فيه ،
 ولجميع المسلمين .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القمر ، الآية (٥٥) .
 (٢) ما أثبتته فى المتن فى نهاية نسخة مكتبة دار الكتب المصرية .
 * أما نهاية نسخة مكتبة الشيخ نجم فقد ورد كالاتى : تم كتاب كشف الأسرار فى لغة الطيور
 والأزهار وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين ، وذلك على
 يد الفقير يوسف بن خضر الشريينى غفر الله له ولوالديه أمين أمين .
 * وأما نهاية نسخة مكتبة طلعت فقد وردت كالاتى : وكان الفراغ من كتابته فى يوم الأربعاء
 سابع عشر شوال الخير من شهور سنة إحدى عشر ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل
 الصلاة والسلام ، على يد كاتبه العبد الفانى محمد محبى الدين إمام زاوية سيدى عبد الوهاب
 الشعرانى .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- أحلى الكلام فيما قيل في الحمام : إبراهيم بن عبد الله الحازمي - دار الشريف للنشر والتوزيع بالرياض - الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ .
- أناشيد الطبيعة : على النيفر - الدار العربية للكتاب سنة ١٩٨٣ م .
- تبارك الرحمن : شعر حسن البحيري - دار الفكر بدمشق - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ م .
- حياة الحيوان : للإمام الدميري .
- الحيوان : للجاحظ - مصطفى الباي الحلبي - الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ م .
- الحيوان في الأدب العربي : شاكر هادي شاكر - عالم الكتب سنة ١٩٨٥ م .
- دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدى - دار المعرفة - بيروت سنة ١٩٧١ م .
- عجائب المخلوقات : القزويني - دار التحرير للطبع والنشر سنة ١٩٦١ م .
- القاموس المحيط : الفيروزآبادي - المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٣٠ هـ .
- القرآن وعالم الحيوان : الدكتور عبد الرحمن محمد حامد - الدار السودانية للكتب .
- كفاية المتحفظ في اللغة : لابن الأجدابي ، تحقيق السائح علي حسين - دار اقرأ للطباعة والنشر - طرابلس - ليبيا .

- المحب والمحجوب والمشموم والمشروب : كتاب المشموم - السرى بن أحمد الرفاء - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
- مختار الصحاح : عبد القادر الرازى - المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٣ م .

* * *

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة المحقق
٩	ترجمة المؤلف
١٣	هذا الكتاب
١٥	صحة النسب
١٦	النسخ الخطية للكتاب
١٧	وصف النسخ الخطية
١٨	عملى فى الكتاب
١٩	صور ضوئية من المخطوطات
٤١	مقدمة المصنف
٤٧	إشارة النسيم
٥٠	إشارة الورد
٥٢	إشارة المرسين
٥٤	إشارة البان
٥٧	إشارة النرجس
٥٩	إشارة اللينوفر
٦١	إشارة البنفسج
٦٣	إشارة المنثور
٦٥	إشارة الياسمين
٦٦	إشارة الريحان
٦٧	إشارة الأقحوان

٦٩	إشارة الخزامى
٧١	إشارة الشقيق
٧٣	إشارة السحاب
٧٥	إشارة الهزار
٧٦	إشارة الباز
٧٨	إشارة الحمامة
٨٠	إشارة الخطاف
٨٢	إشارة البوم
٨٤	إشارة الطاووس
٨٧	إشارة الدرہ
٨٩	إشارة الخفاش
٩٢	إشارة الديك
٩٥	إشارة البط
٩٧	إشارة النحلة
٩٩	إشارة الشمع
١٠١	إشارة الفراش
١٠٢	إشارة الفراش مع الشمع
١٠٣	إشارة النار
١٠٤	إشارة الغراب
١٠٨	إشارة الهدهد
١١٢	إشارة الكلب
١١٥	إشارة الجمل
١١٨	إشارة الفرس

الصفحة	الموضوع
١٢١	إشارة الفهد
١٢٣	إشارة دودة القز
١٢٦	إشارة العنكبوت
١٢٨	إشارة النملة
١٣٢	إشارة العنقاء
١٣٧	المصادر والمراجع
١٣٩	فهرس الموضوعات

* * *